الشباب

هم أنصار المهدي عليه السلام

عبد المحسن أبو عبد الله

الشباب

هم أنصار المهدي

الشباب

هم أنصار المهدي "ع"

عبد المحسن أبو عبد الله

الأمينة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

خليوي: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/٦١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٤٠٨

http://www.Dar-ALamira.com
email: info@dar-alamira.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

انتشرت في الآونة الأخيرة بين الشباب المسلم عدة مظاهر سلبية، وذلك بسبب التقدم التكنولوجي الهائل الذي أحرزه الغرب، وبالتالي الانتصارات الساحقة التي حققها في جميع مجالات الحياة، ومن هذه المظاهر:

١ـ اهتزاز المَلَكة التي تضمن للإنسان الثقة بنفسه ودينه وموروثاته.

٢ـ هوان عقيدة الفرد عليه مما يجعلها ليست ذات أهمية عنده، يستهزئ بها ويسخر من تعاليمها، وعلى استعداد لبيعها بثمن بخس.

٣ـ الاغترار بالدنيا والهيام بها، وكأنها هي الغاية والمنتهى، والغفلة عن الآخرة وتجاهلها تجاهلاً تاماً، وكأن الإنسان إذا فعل ذلك سيتحقق له ما يصبو إليه، وقد عاب الله سبحانه وتعالى ذلك المسلك واتهم أصحابه بالقصور العلمي، حيث قال عز من قائل: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى

عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾[1].

٤ـ اتّباع سفاسف الأمور، وهذا شيء طبيعي فيمن يعشق الدنيا، والنموذج الفذ في هذا المجال هي الفضائيات، فبينما تتناثر أشلاء المسلمين في المساجد والجامعات وديار الغربة، تبث الفضائيات الموقرة البرامج التافهة، والاغاني الماجنة، والأفلام الخليعة، وكأنها تعيش في عالم مختلف لا ينتمي لعالمنا المنكوب بأي صلة.

٥ـ عشق المتع لدرجة عبادتها، وذلك بالضبط ما خطط له الغرب منذ بدايات القرن الماضي، فقد جاء في كلمة صمويل زويمر رئيس جمعيات التبشير في (مؤتمر القدس للمبشرين) عام ١٩٣٥م قوله: «إنكم أعددتم نِشْئاً لا يعرف الصلة باللّه، ولا يريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقاً لما أراده الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب.. إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات! أيها المبشرون: إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه»[2].

---

(١) سورة النجم، الآية ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، ص٧١.

تنقسم نظرة المجتمعات البشرية بالنسبة للكون والحياة إلى عدة اعتقادات، تنضوي معظمها تحت ثلاث مجموعات:

أ- المؤمنون: وهم الذين يعتقدون أن لهذا الكون إلهاً خالقاً مبدعاً مدبراً، ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾[1]، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[2].

ب- الغافلون: وهم الذين يعتقدون في الله -مثلما يعتقد المؤمنون- ولكنهم يتوهمون أنه خلق هذا الكون العظيم ووضع فيه القوانين ثم تركه بلا حسيب ولا رقيب. ولهذا فهم يتصرفون على أساس أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم عنهم إلاّ خيراً، وظنوا أنه لا ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[3]، وقد أجابهم جلّت قدرته بقوله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۞ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٢) سورة المجادلة، الآية ٧.

(٣) سورة غافر، الآية ١٩.

(٤) سورة فصلت، الآية ٢٢ - ٢٣.

جـ- الشيوعيون: وهم الذين يتخذون المادة العمياء إلهاً لهم من دون الله، ويقولون: إن الكون قديم والحياة جاءت صدفة، ولهذا فلا حساب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾[1].

لقد تطورت الإنسانية تطوراً هائلاً وأسفر العلم عن أشياء لو ظهرت في العصور السابقة لعدت من المعجزات، وظهرت اعتقادات واندثرت أخرى، إلاَّ أن شيئاً واحداً ظل صامداً لم يتغير ولم يتبدل، ولم يؤثر فيه كرُّ الليالي ولا صروف الأيام، ذلك هو خط الأنبياء سلام الله عليهم، وصدق العلي العظيم حيث قال: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[2].

فرغم الحرب الشعواء التي شنها أعداء الأنبياء عليهم منذ عشرات الآلاف من السنين، لا زال خطهم صامداً، تلجأ إليه البشرية إذا ادلهمت بها الخطوب وتقاذفتها الأمواج، ألا يكفي برهاناً على ذلك أنه حتى أكثر الاشتراكيين اشتراكية، وأعتى الملحدين إلحاداً، إذا ضاقت

---

(١) سورة الجاثية، الآية ٢٤.

(٢) سورة الروم، الآية ٣٠.

به السبل، ورأى علامات الآخرة تحوم فوق رأسه ينخذل ويقول مثلما قال فرعون: ﴿قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1].

ذلك برهان مطلق، وبرهان آخر خاص هو النبي محمد ﷺ، الذي لولا شخصيته المعجزة لما وصل العالم إلى ما وصل إليه، ويكفي في هذا الشأن شهادة ربه له، حيث خاطبه قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۞ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا﴾[2]، وإلى الذين لم يؤمنوا بالله بعد، فليقرؤوا كتاب الدكتور مايكل هارت المفكر المسيحي الأمريكي (المائة الأوائل)، الذي هو عبارة عن: مختصر السيرة الذاتية مرتبة -حسب الأهمية- لأعظم مائة شخصية في تاريخ الإنسانية، وجاء النبي محمد ﷺ في المرتبة الأولى سابقاً أولئك العظماء حقًا بأشواط بعيدة.

إذن النبي محمد ﷺ هو شاهد ومبشر ونذير، ومرسل من قبل الله سبحانه، وسراج ينير ظلمات الغي والجهل والضلال، ومبشر للمؤمنين ومأمور من قبل ربه بأن يبشر المؤمنين بالخير العميم، وبالأجر الجزيل، وبالنصر على الأعداء، وهذا ما حصل بالفعل أيام رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة يونس، الآية ٩٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٥ - ٤٧.

ومن ضمن ما أمر أن يبشر المؤمنين به ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]، فبشر ﷺ المؤمنين بالأئمة الاثني عشر، وأن آخرهم يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً، بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وعلى يده يتحقق وعد الله، فقال ﷺ: «إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الاثني عشر، أولهم أخي وآخرهم ولدي، قيل: يا رسول الله! ومن أخوك؟ قال: علي بن أبي طالب، قيل: فمن ولدك؟ قال: المهدي الذي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً، لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه، وتشرق الأرض بنوره، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»[2].

وكما كان النبي محمد ﷺ هو بشارة الأنبياء الذين سبقوه، كما أكد الذكر الحكيم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا

---

(١) سورة النور، الآية ٥٥.

(٢) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، لطف الله الصافي الكالپايكاني، ص٦٢.

بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلاَمِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]. فالمهدي سلام الله عليه هو بشارة النبي محمد ﷺ، وعلى يديه يكون نشر الإسلام في كل بقاع الدنيا كما هي تكملة الآيات السابقة ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[2].

فالمهدي صلوات الله عليه وعلى آبائه، ما هو إلا امتداد لتلك الشجرة المباركة الباسقة التي تحارب الظلم والجور، وتزيل الجهل والضلال، وتنشر العلم والنور، وتبسط العدل والسلام، المهدي سلام الله عليه ليس وهماً من الأوهام، ولا خرافة من الخرافات، أو أملاً من آمال المكبوتين الخانعين، أو تطلعاً من تطلعات المستضعفين المظلومين.

ولماذا وقع عليهم الظلم أصلاً؟! أليس لأنهم رفضوا الباطل وكان بإمكانهم أن يسايروه؟! أليس لأنهم وقفوا في وجه الظلم وكان في استطاعتهم أن يكونوا جزءاً منه؟!

---

(١) سورة الصف، الآية ٦ ـ ٧.

(٢) سورة الصف، الآية ٨ ـ ٩.

وهذا الكتيب ما هو إلاّ لمحات خاطفة (فلاش) على بعض الشخصيات الفذة، التي كان لها دور بارز في التاريخ الإسلامي ونصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بكل وعي وتضحية وإخلاص، مما مكنها من النظر بعين الله والالتحاق بركب الفائزين، مما قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى امتداد سنوات التمحيص التي فيها ينجح رجال ويسقط فيها آخرون، عسى أن يكونوا لنا أسوة وعبرة ونحن في انتظار الإمام المهدي عليه السلام كما وعدنا جده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: «أفضل جهاد أمتي انتظار الفرج»[1].

إن الله سبحانه وتعالى خلق الزمان والمكان، وخلق الخلق ومنحهم فرصاً متساوية، فكما عاصر أنصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم النبي، وعاصر أنصار الإمام الحسين عليه السلام الحسين، ها نحن نعاصر الإمام المهدي عجل الله فرجه، فلنجتهد لكي نوجد في أنفسنا الشروط اللازمة لنصبح من أنصار الإمام المهدي عليه السلام.

ألا تحبون أن تكونوا كذلك؟!

---

(١) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج٧٤، ص١٤١.

فترات البعث وفترات الخمول

في قول إيليا أبي ماضي:

قد سألت البحر يوماً هل أنا يا بحر منك
أصحيح ما رواه بعضهم عني وعنك
ضحكت أمواجه مني وقالت: لست أدري

شيء من الصحة؛ فالإنسان قد تمر عليه فترات من الرضا والهدوء والاستكانة، وقد تمر عليه فترات من الغضب والهيجان والثورة، فهو في هذا يشبه البحر في استكانته وهدوئه، أو في ثورته وهيجانه.

وكما الإنسان الفرد، كذلك المجتمعات الإنسانية التي لا تعدو كونها تجمعات لوحدات إنسانية، يعتريها ما يعتري الإنسان من طفولة وشباب وشيخوخة ويصيبها ما يصيبه، وهذا ينبهنا إلى أهمية الدور الذي يلعبه الفرد في المجتمع، ويطلعنا على سر من أسرار نهضة المجتمعات أو عامل مهم من عوامل خمولها وانحطاطها.

ومن أبرز الأمثلة في هذا الصدد هو نموذج البعث الإسلامي المحمدي لدين الإسلام على اعتبار أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً من لدن آدم إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۞ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۞ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

ويمكننا اعتبار عام ٥٧٠م هو بداية البعث الإسلامي المحمدي، وقد عرف ذلك العام عند العرب بعام الفيل، وهو العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ وقصة أصحاب الفيل قصة حقيقية مشهورة عند العرب، ذكرتها كتب التاريخ وسطرها القرآن الكريم في سورة من السور المكية هي سورة الفيل حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۞ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۞ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۞ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٨٣ ـ ٨٥.

وملخص قصة أصحاب الفيل: أنه لما اضطهد (ذو نواس) ملك اليمن نصارى نجران وأمر بإحراقهم أحياءً كما ورد في سورة البروج قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۞ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۞ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[1]، أرسل إليه النجاشي ملك الحبشة جيشاً عظيماً بقيادة (أرياط).

استولى أرياط على اليمن، ولكن أرياط ما لبث أن أطاح به أحد قواده وهو أبرهة الأشرم، ولكي يكسب عفو النجاشي ورضاه عنه، أعلن ولاءه له وبنى كنيسة هائلة البناء بصنعاء كانت غاية في الفخامة وجمال البناء بحيث أسمتها العرب القليس.

أرسل أبرهة إلى قبائل العرب يدعوهم إلى الحج إلى القليس والانصراف عن الكعبة، فأوجس العرب شراً، واستطاع أحد القرشيين الدخول إلى القليس وأحدث فيها ولوثها بالقاذورات.

استشاط أبرهة غضباً وأقسم ليهدمنَّ الكعبة حجراً حجراً، وجهّز لذلك جيشاً عظيماً جعل في مقدمته مجموعة من الفيلة الضخمة، وسار قاصداً مكة، حتى إذا صار على

---

(١) سورة البروج، الآية ١ ـ ٨.

مقربة منها خيّم هناك ونهب ما كان في طريقه من إبل وأغنام، وكان بينها مائتا بعير لعبد المطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ.

بعث أبرهة (حناطة الحميري) وأمره أن يأتيه بأشرف رجل في قريش، فدلّوه على عبدالمطلب، فلما اجتمع به قال أبرهة لعبد المطلب: «ما حاجتك؟ قال عبدالمطلب: نهبت إبلي؛ فمرهم بردها عليَّ، فقال أبرهة: أتكلمني عن إبلك ولا تذكر الكعبة وهي شرفك وشرف أجدادك، وقد قدمت لهدمها؟

فقال عبد المطلب: أنا رب الإبل، وأنَّ للبيت ربًّا سيمنعه»[1].

عاد عبدالمطلب إلى مكة، وأمر قريشاً بالتحصن في رؤوس الجبال، «ثم قام عبدالمطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة»[2] وأنشد:

اللهم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبنَّ صليبهم ومحالهم أبداً محالك

وفي صبيحة اليوم الموعود أمر أبرهة الأشرم الفيل أن

---

(١) التفسير الامثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٢٠، ص٤٢٠.
(٢) مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، ج٣، ص٦٧٧.

يتوجه إلى مكة، وأمره الله أن يتوجه إلى أي جهة إلاّ مكة، «فبعثوا فيلهم يريدون أن يصبحوا بمكة، فوجهوه إلى مكة فربض، فضربوه فتمرغ، فوجهوه إلى اليمن راجعاً فتوجه يهرول، فعطفوه حين رؤوه منطلقاً حتى إذا وصل إلى مكانه الأول ربض»[1].

وعند بزوغ شمس ذلك اليوم من المشرق، «أرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف، مع كل طير ثلاثة أحجار يحملها، حجر في منقاره وحجران في رجليه مثل الحمص والعدس، لا يصيب أحداً منهم إلا هلك»[2]، وَوُلِدَ في مكة المكرمة محمد بن عبدالله ﷺ ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين ويلقب بالصادق الأمين.

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، ج٩، ص٨٢٣.
(٢) تفسير الطبري، ج٣٠، ص١٩٦.

الصادق الأمين

ترعرع النبي محمد ﷺ في مكة المكرمة، وظهر له من المعاجز الشيء الكثير، فقد كان نبياً حتى قبل أن تلده أمه. والذي يهمنا هنا هي سيرته الاجتماعية المعجزة.

اتّصف النبي محمد ﷺ بالصفات الحميدة المطلقة، فما من صفة حميدة إلاّ وهو الذروة فيها، ولنأخذ الشجاعة مثلاً، وهي من الصفات صعبة المنال؛ لأنها تكلف الإنسان سمعته أو حياته، ففي هذا الصدد يقول علي بن أبي طالب عليه السلام: «كنا إذا حمي البأس، اتّقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب منه إلى العدو»[1]، ودلالة هذا الكلام واضحة لأن الإمام علي بن أبي طالب غني عن التعريف.

وحدث ذات مرة كما يروى عن أنس بن مالك «لقد فزع أهل المدينة ليلةً فانطلق الناس قِبَل الصوت، فتلقاهم

---

(١) محمد المثل الكامل، محمد أحمد جاد المولى بك، ص٢١.

رسول الله ﷺ وقد سبقهم، وهو على فرس لأبي طلحة وفي عنقه السيف، فجعل يقول للناس: لم تُراعوا، وجدناه بحراً أو إنه لبحر»[1].

والصفة التي غلبت على رسول الله ﷺ حتى صارت اسماً له هي صفة (الصدق والأمانة)، فإذا قيل: الصادق الأمين؛ انصرفت إلى محمد بن عبدالله بدون تردد، يقول الطبري في تاريخه: «وكانت قريش تسمّي رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين»[2].

وقد حفظت لنا كتب التاريخ والسيرة والحديث دليلاً عملياً على ذلك، هو قصة إعادة بناء الكعبة المشرفة، وملخصها:

تقادم بناء الكعبة، وعملت فيه القوانين التي وضعها الله في الطبيعة، بما في ذلك الأمطار والسيول؛ عملها مما اضطر قريشاً إلى التفكير الجدي في إعادة بنائها.

هدمت الكعبة المتداعية، واحتفظ بالصالح من أحجارها وأخشابها، ثم بُدِئ في إعادة البناء على القواعد التي رفعها إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن

---

(١) ذلكم رسول الله، حسن الموسوي القزويني، ص١١٥.
(٢) تاريخ الطبري، ج١، ص٥٢٦.

ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[1].

تعاضدت القبائل القرشية في إعادة بناء الكعبة، وتسالمت وساد بينها الحب والوئام، حتى إذا بلغت مرحلة وضع الحجر الأسود في مكانه، تحوّل ذلك الحب والوئام إلى حقد وغيرة وحسد، ودبَّت بينهم روح المصلحة الفردية والأنانية، فكل واحد من القوم يريد أن يحظى بشرف وضع الحجر الأسود في مكانه، «حتى تحالفوا وتواعدوا للقتال، وقربت بنو عبدالدار جفنة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت»[2].

كاد السيف أن يقع بين القوم، إلاّ أنه في اللحظات الأخيرة خطرت على بال أبي أمية بن المغيرة فكرة، وهي أن يحكّموا ويرضوا بحكم أول من يدخل عليهم، واقتضت حكمة الله جل شأنه أن يدخل عليهم الصادق الأمين، «فقالوا: أتاكم الأمين، فقالوا له، فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم فأخذوا بنواحيه، فوضعه هو في مكانه»[3]، وبذلك

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٧ - ١٢٩.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج١، ص٥٧٣.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٣، ص٥٢٠.

أنقذهم الله سبحانه وتعالى بمحمد ﷺ، ولو لم يكونوا يعرفون صدقه وأمانته لما رضوا به حَكَماً وهم العتاة المردة، أو كما يقول الغزالي: «وهذا يدل على سناء المنزلة التي بلغها فيهم»[1].

وعندما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة أمر ابن عمه ووزيره ووصيه، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن يعيد الأمانات التي عنده إلى أصحابها الذين عادوه وآذوه وتآمروا على قتله وإخراجه ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[2].

فأي عظمة وأي وفاء وأي صدق وأي أمانة أعظم من هذا؟! فهل هناك شخص في هذا الوجود يرجع أموال من يريدون اغتياله والفتك به؟!

يقول ابن إسحاق: «أما علي، فإن رسول الله ﷺ - فيما بلغني- أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلف بعده بمكة، حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلاّ وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته»[3].

---

(١) فقه السيرة، محمد الغزالي، ص٩٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٣٠.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، ج٢، ص١٤٢.

ذلك غيض من فيض من دلائل صدقه ﷺ وأمانته، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وإنه متصل بالقائل: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

وقد سقنا الأدلة السابقة لنزداد يقيناً إلى يقيننا وذلك بما سوف نسوقه من قصص وإخبارات عنه ﷺ، سيراً على نهج إبراهيم الخليل عليه السلام كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[2].

وهدف أعدائنا في العصر الحديث هو أن يبثوا فينا روح التشكيك في ديننا، بما في ذلك تشريعه وقرآنه ونبيّه وآل نبيه، والهدف كما يقول الدكتور الراضي عبدالمحسن هو «للتنفير من التفكير في الإسلام ودراسته، في محاولات يائسة لقطع الطريق أمام الإسلام في أداء رسالته التنويرية، وتعطيل دوره في هداية البشر»[3]، وكذلك بث روح اليأس والقنوط فينا لئلا تقوم لنا قائمة، وبث روح الانهزامية لكي

---

(١) سورة هود، الآية ١٢٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

(٣) نبي الإسلام بين الحقيقة والادّعاء، د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن، ص٥.

لا نتطلع ولا نكدح للوصول إلى معالي الأمور، وبث روح العبثية لكي تكون حياتنا سلسلة من اللهو واللعب والجري وراء المتع والملذات.

وخير ما يعيد لنا الثقة في أنفسنا، والكرامة إلى كياننا، والعزة إلى أمتنا ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]، هي العودة إلى سيرة المصطفى ﷺ، وآله الأطهار، الذين قال فيهم: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»[2].

فإذا علمنا -كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ- أن عزتنا بعزة الإسلام، وذلتنا وهواننا بذلة الإسلام وهوانه، وأن عزة الإسلام بعزة الخلفاء الاثني عشر الذين عينهم رسول الله ﷺ، وعلمنا أنه قد مضى من أولئك الخلفاء الاثني عشر، بالسيف والسم -كما أخبر هو ذاته- أحد عشر، فـ«عن عبدالله قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ اغرورقت عيناه وتغير لونه، قال: قلت ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكره، فقال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً، حتى يأتي قوم قِبل المشرق معهم رايات سود،

---

(١) سورة المنافقون، الآية ٨.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، العسقلاني، ج١٣، ص٢١١. مسند الطيالسي، ح٣، ص١٠٥، حديث رقم ٧٦٧.

فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها قسطاً كما ملئت جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج»[1].

معنى ذلك أنه لم يبق من أولئك الاثني عشر خليفة إلاّ فرداً واحداً، هو الموعود لإعادة العزة والكرامة للأمة الإسلامية، بعد حالة الذلة والمهانة غير المسبوقة التي وصلت إليها ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

ذلك الأمير أو الخليفة الهاشمي القرشي هو الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، وقد بلغت الأحاديث الورادة فيه تصريحاً أو تلميحاً مئات الأحاديث، فقد أحصى العلامة إبراهيم الأميني الأحاديث الواردة في الإمام المهدي عن طريق السنة والشيعة فربت على ألفين وسبعمائة حديث[3]، موزعة كالآتي:

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم، ابن كثير، ج١، ص٢٥.

(٢) سورة النور، الآية ٥٥.

(٣) حوارات حول المنقذ، العلامة إبراهيم الأميني، ص٨٥.

١ـ الأئمة/ الخلفاء/ الأمراء بعد رسول الله ﷺ اثني عشر: ٣٠٢ حديثاً.
٢ـ المهدي من عترة النبي ﷺ: ٣٨٩ حديثاً.
٣ـ المهدي من ولد علي وفاطمة عليهما السلام: ٤٠٦ حديثاً.
٤ـ المهدي من ولد الحسين عليه السلام: ٦٢١ حديثاً.
٥ـ المهدي من ولد الصادق عليه السلام: ٤٠١ حديثاً.
٦ـ المهدي من ولد الرضا عليه السلام: ٢٧٥ حديثاً.
٧ـ اسم والد الحسن العسكري عليه السلام: ٢٩٣ حديثاً.
٨ـ اسمه اسم النبي ﷺ وكنيته عليه السلام كنيته ﷺ: ٤٧ حديثاً.

ومن تلك المئات المتواترة من الأحاديث، قوله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي، اسمه كاسمي، فقال سلمان: من أي من ولدك يا رسول الله؟ قال: من ولدي هذا، وضرب بيده على الحسين»[1].

وكما يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر: «ليس المهدي تجسيداً لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان لطموح اتجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطري أدرك الناس من خلاله أن

---

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، الحافظ محب الدين الطبري، ص١٣٦.

للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض»[1].

إذن، فالمهدي حق لا ريب في ذلك، ولو لم يقل بذلك إلاّ رسول الله ﷺ لكفى، فالرسول لا يقول إلاّ حقًا، ولا ينطق إلاّ صدقاً، ولا يجوز عليه التوهم ولا المحاباة ولا الكذب، فمحمد ﷺ لم يكذب فيما أخبر به عن السابقين، ولا كذب فيما أخبر به عن المعاصرين، ولن يكذب فيما أخبر به عن الآتين، فمحمد لا يكذب أبداً، وتعالوا نستقرئ التاريخ.

---

(١) بحث حول المهدي، الشهيد محمد باقر الصدر، ص٧.

ذرية بعضها من بعض

في العام العاشر من مبعث النبي ﷺ وقبل هجرته بثلاث سنوات، توفيت زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وكانت خديجة أول من آمن به من النساء، كما كان ابن عمه علي بن أبي طالب أول من آمن به من الرجال، ووقفت بجانبه، وضحت في سبيله بأموالها الطائلة، وجاهها العريض، واحترامها الواسع، وقد حفظ النبي ﷺ لها ذلك إلى آخر حياته، فقد كان يُجِلُّ صويحباتها ويحترمهن؛ حبًّا لذكراها العطرة وإجلالاً، وقد كانت أحب أزواج النبي ﷺ إلى قلبه باعتراف زوجته عائشة نفسها.

فقد حدث إن زارت (هالة) أخت السيدة خديجة رضي الله عنها المدينة، وكان صوتها يشبه صوت خديجة، فلما سمع النبي الصوت -كما تنقل عائشة- قال: «اللهم هالة، قالت: فغرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها»[1]،

---

(١) صحيح البخاري، ج٥، ص٤٨.

«فتغير وجهه عليه الصلاة والسلام وزجر عائشة غاضباً»[1].

ويكمل صاحب (كنز العمال في سنن الاقوال والأفعال) القصة التي يبترها البخاري قال: «ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء»[2].

وقبل وفاة خديجة ببضعة أشهر كان قد توفي أبو طالب عليه السلام، عم النبي الأقرب إلى قلبه، وكافله الذي كان يفضله على أولاده، والمدافع العنيد عنه، وقد سجل له الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ذلك بقوله: «ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»[3].

ويستحيل أن يقوم أبو طالب بما قام به من نصرة النبي صلى الله عليه وآله، وحمايته من أذى قريش، ودعوة الآخرين إلى دينه، إن لم يكن هو شخصياً، ليس مسلم فحسب بل مفعم بالإيمان، فقد سئل الإمام محمد الباقر عليه السلام «عما يقوله الناس: إن أبا طالب، ضحضاح من نار، فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى، لرجح

---

(١) تراجم سيدات بيت النبوة، الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، ص٢٣٤.

(٢) كنز العمال، العلامة علاء الدين المتقي الهندي، ج١٢، ص١٣٢.

(٣) البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، ج٣، ص١٢٢.

إيمان أبي طالب»[1].

وهل يعقل أن إنساناً مسلماً يحث ابنه على اعتناق مذهب غير مذهبه فضلاً عن دين غير دينه، هذا بالإضافة إلى ما ينقله التاريخ الصادق عن أبي طالب سلام الله عليه «أخرج ابن الأثير أن أبا طالب رأى النبي ﷺ وعلياً يصليان، وعلي على يمينه، فقال لجعفر رضي الله تعالى عنه: صلّ جناح ابن عمك وصلّ عن يساره»[2]، وفي رواية أخرى «فانصرف أبو طالب مسروراً وأنشأ يقول[3]:

إن علياً وجعفراً ثقتي عند ملم الزمان والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بنيّ ذو حسبي

والمأثور أن (الشعر ديوان العرب)، فإذا عرفنا أن هناك عشرات القصائد، ومئات الأبيات من شعر أبي طالب سلام الله عليه، التي تبشّر بالدين الجديد أو تحثُّ على اعتناقه والتمسك به، أو التي تبجِّل النبي محمد ﷺ وتجلُّه وتقدِّسه وتدعو إلى اتباعه ونصرته، عرفنا عمق إيمان الرجل، وشدة بلائه في نصرة الإسلام ونبيه، وإليك أيها

---

(١) سيرة المصطفى، هاشم معروف الحسني، ص٢٠٨.
(٢) الغدير في الكتاب والسنة والادب، عبدالحسين الاميني، ج٧، ص٣٥٧.
(٣) المصدر السابق، ج٧، ص٣٥٦.

القارئ العزيز نماذج من شعره لكيلا تنخدع بالقول: «وقد ثبت في الصحيح أنه مات كافراً»[1].

- من فتح الباري:

كذبتم وبيت الله نبزي محمداً
ولما نُطاعن حوله ونُناضل
ونسلمه حتى نصرّع حوله
ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

«قال السهيلي: فإن قيل: كيف قال أبو طالب: «يستسقى الغمام بوجهه» ولم يره قطُّ استسقى، إنما كان ذلك منه بعد الهجرة؟ وأجاب بما حاصله: أن أبا طالب أشار إلى ما وقع في زمن عبدالمطلب حيث استسقى لقريش والنبي ﷺ معه غلام»[2] ومعنى هذا أنه حتى جده عبدالمطلب كان مؤمناً به، ولهذا استسقى به لقريش وهو طفل، فكيف بعمه أبي طالب الذي عايشه إلى السنة العاشرة من بعثته.

---

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية، مهدي رزق الله أحمد، ص٢٢٢.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج٢، ص٤٩٦.

- وفي البداية والنهاية[1]:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسَّد في التراب دفينا
فامضِ لأمرك ما عليك غضاضة
أبشرْ وقرَّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي
فلقد صدقتَ وكنتَ قدم أمينا
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة
لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

كل بيت من الأبيات السابقة يشهد بأن قائله لا يمكن أن يكون إلاّ مسلماً مخلصاً لدينه، ولكن كما يقول ابن أبي الحديد: «قالوا: وإنما لم يُظهر أبو طالب الإسلام ويُجاهر به، لأنه لو أظهره لم يتهيأ له من نصرة النبي ﷺ ما تهيأ له، وكان كواحد من المسلمين الذين اتبعوه، وإنما تمكن أبو طالب من المحاماة عنه، بالثبات في الظاهر على دين قريش وإن أبطن الإسلام»[2]، وهذا ما يشير إليه أبو طالب عليه السلام

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٣، ص١٢.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج١٤، ص٨١.

بقوله: «لوجدتني سمحاً بذاك مبينا».

- وفي السيرة النبوية[1]:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً
نبياً كموسى خط في أول الكتب
وإن عليه في العباد محبة
ولا خير ممن خصه الله بالحب
وإن الذي ألصقتم من كتابكم
لكم كائن نحسا كراغية السقب[2]
فلسنا ورب البيت نسلم أحمداً
لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولما تبن منا ومنكم سوالفاً
وأيد أترت بالقساسية الشهب

من الغوص في هذه الأبيات تدرك أن أبا طالب عليه السلام ليس مطلعاً على الماضي فحسب لقوله: «إنا وجدنا محمداً نبياً كموسى»، ولكنه على اطّلاع على المستقبل أيضاً، فهو يقول: إن مصير الذين كتبوا صحيفة المقاطعة لبني هاشم

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ج١، ص٤٣٢.

(٢) قوله: الذي ألصقتم من كتابكم؛ يعني الصحيفة التي ألصقتموها في الكعبة، ويقول الخشني شراح السيرة: «السقب: ولد الناقة، وأراد به ههنا ولد ناقة صالح عليه السلام» هامش ١، ص٤٣٣.

وألصقوها في جوف الكعبة، سوف يكون كمصير عاقري ناقة صالح عليه السلام، وأن المسلمين لن يسلّموا محمداً لشرّ أبداً، وأن حرباً ضروساً تطير فيها الرؤوس وتقطع الأيدي، سوف تقع بين المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وآله وبين أعدائهم.

وهذا ما توصل إليه الشيخ فوزي السيف، إذ قال في تعليقه على خطبة أبي طالب خديجة زوجة للنبي صلى الله عليه وآله: «وخطب أبو طالب لابن أخيه خديجة، متقدماً بتلك الكلمات الرائعة التي تنبئ عن استشرافه لمستقبل النبي ودينه الذي سيظهر على الأديان»[1].

- في شرح نهج البلاغة:

وذكر ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة مسلكاً آخر في الاستدلال على إسلام أبي طالب، فقد أورد عدة أمثلة من شعر أبي طالب يمتدح فيها النبي محمد صلى الله عليه وآله مدح الأصاغر للملوك، من مثل قوله رضي الله عنه:

وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً
على ربوة في رأس عنقاء عيطل
وتأوي إليه هاشم، إن هاشماً
عرانين كعب آخرٌ بعد أول

(١) نساء حول أهل البيت، الشيخ محمد فوزي، ص٣٣.

وقوله:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يُطيف به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل

ويعلق ابن أبي الحديد بقوله: «فإن هذا الإسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والذنابي من الناس، وإنما هو من مديح الملوك والعظماء، فإذا تصورت أنه شعر أبي طالب، ذاك الشيخ المبجّل العظيم في محمد ﷺ وهو شاب مستجير به، علمت موضع خاصية النبوة وسرها»[1].

ورغم انتماء ابن أبي الحديد إلى المعتزلة، لم يستطع كتمان الحق، فكتب يقول: «ولم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب، فإني أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة، وأعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة.

ولولا أبو طالب وابنه
لما مثل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكة آوى وحامى
وهذا بيثرب جس الحِماما»[2]

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٤، ص٦٣.
(٢) المصدر السابق، ص٨٣.

سمى النبي ﷺ العام الذي توفي فيه عمه أبو طالب وزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنهما (عام الحزن)، وذلك لما أصابه من غمٍّ وهمٍّ، ووجدت قريش الفرصة سانحة للتنكيل به وبأصحابه، فكان يمر على أصحابه وهم تحت وطأة السياط، أو تحت الصخور الضخمة، تلسعهم حرارة شمس الصيف الملتهبة، وحتى تعرف مقدار مرارة ذلك، اقرأ سيرة آل ياسر المشرفة، وتخيّل أن يعذب أصحابك أمام عينيك من أجل فكرة أنت صاحبها.

فأسرة آل ياسر هي من الأمثلة الفذة على الصبر والتحمل والتضحية في سبيل الله ورسوله، وفد ياسر بن عامر المدحجي مع أخويه الحارث ومالك من اليمن إلى مكة في طلب أخ لهما انقطعت أخباره، رجع أخوي ياسر إلى اليمن أما هو فبقي في مكة وتحالف مع أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وزوَّجه أبو حذيفة أمة له تُسمى سمية بنت خياط فولدت عماراً.

أسلم عمار بن ياسر في الأيام الأولى لظهور الإسلام، وعرض الإسلام على والديه فأسلما، ومنذ أن عرفت قريش بأنهم آمنوا بالله ورسوله انصب عليهم العذاب صبًّا، فكانوا يخرجون عماراً وأباه وأمه إلى الرمضاء فيلقونهم في حرارة الشمس، ويعذبونهم بالسياط، حتى إذا تعبوا من ضربهم وضعوا الصخور على صدورهم، وكان النبي ﷺ

يمر عليهم ويرقّ لحالهم ويحثهم على الصبر والصمود في سبيل الله ويقول: «أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة»[1]، «لم يحتمل ياسر كل هذا العذاب فمات من شدته، فكان أول شهيد في الإسلام، ولم تطق سمية صبراً فأغلظت القول لأبي جهل فطعنها بحربة فماتت، فكانت أول شهيدة في الإسلام»[2].

لم يبق من أسرة آل ياسر إلا عماراً، فوجّه إليه القوم من العذاب ما لا طاقة لبشر عليه، «وجاء عمار إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقال رسول الله ﷺ: ما وراءك؟ فقال: شرٌّ يا رسول الله، ما تُركتُ حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول: إن عادوا لك فعد لهم بما قلت، فنزلت الآية: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[3]»[4].

سبق عمار رضي الله عنه رسول الله ﷺ في الهجرة إلى المدينة، وهو في طريقه بنى مسجد قباء ليحل فيه رسول الله ﷺ في طريقه إلى المدينة، «فكان أول مسجد بُني في الإسلام»[5]، كما شارك في بناء مسجد رسول الله ﷺ في

---

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج٣، ص٤٣٨.
(٢) زعماء الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ص٨٧.
(٣) سورة النحل، الآية ١٠٦.
(٤) تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، ج١٢، ص٣٥٨.
(٥) زعماء الإسلام، الدكتور حسن إبراهيم حسن، ص٨٨.

المدينة، وفي هذا يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»[1].

وفي سنة ٣٦هـ - ٦٥٧م خرج معاوية بن أبي سفيان على الإمام علي عليه السلام وهو أحد الخلفاء الراشدين وقاتله في موقعة صفين، كان الصحابي الجليل عمار بن ياسر الذي شارف على الخامسة والتسعين في صف الإمام علي عليه السلام «فالتقى عليه رجلان، وأقبلا برأسه يتنازعان فيه، كل يقول: أنا قتلته، فقال لهما عمرو بن العاص: والله إن تتنازعان إلاّ في النار، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: تقتل عماراً الفئة الباغية»[2].

أراد الله سبحانه وتعالى أن يسرّي عن رسوله، ويريه سعة ملكه، وعظمة شأنه، وأنه مظهر أمره حتى لو وقفت الإنس والجن في وجهه -وهذا أيضاً هو شأنه في الإمام المهدي المنتظر- فأسرى به من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، ومن هناك عرج به إلى سدرة المنتهى كل ذلك في ليلة واحدة، وفي ذلك يقول عز من قائل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، العسقلاني، ج١، ص٥٤١.
(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ص١٤٦.

البَصِيرُ﴾[1]، ويقول: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۞ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۞ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[2].

استقبلت قريش نبأ إسراء النبي ﷺ وعروجه بالسخرية والاستهزاء، وكان على رأس المستهزئين عتبة بن أبي لهب ابن عم النبي ﷺ الذي قال للنبي «كفرت بالذي دنا فتدلى -وفي رواية: كفرت برب النجم- وتفل في وجه محمد، فقال ﷺ: اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك»[3]، وفي الموسم خرجوا إلى الشام، فأوصى أبو لهب القافلة أن يحوطوا بابنه إحاطة السوار بالمعصم، وذات ليلة «جمعوا حمالهم وفرشوا لعتبة في أعلاها وناموا حوله، فجاء الأسد يتشمم وجوههم»[4]، ونكمل بقية الواقعة من ابن كثير «فلما لم يجد ما يريد تقبض فوثب فإذا هو فوق المتاع، فشم وجهه ثم هزمه هزمة ففسخ رأسه، فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد»[5].

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١.

(٢) سورة النجم، الآية ١ - ٩.

(٣) البحار، محمد باقر المجلسي، ج١٨، ص٥٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير ابن كثير، الحافظ ابن كثير، ج٤، ص٢٦٦.

مولد أمة

هاجر النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة، وبعد أن وصل المد الإسلامي في مكة إلى طريق مسدود منذ بدء الجهر بدعوته حين أمره الله بذلك بقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1]، التي اختزلها في أربعين رجلاً من عشيرته بقوله ﷺ: «يا بني عبدالمطلب والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على أمري هذا، على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها غير علي إذ قام فقال: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ رسول الله برقبته وقال: إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

وتطيع »[1]، والتي سيكون لها ما بعدها كما سنرى.

يمكن اعتبار بزوغ الهجرة النبوية -التي اعتبرت فيما بعد نقطة انطلاق التاريخ الهجري- هي يوم ولادة الأمة الإسلامية، كما اعتبر يوم ميلاد السيد المسيح هو نقطة انطلاق التاريخ الميلادي.

ففي المدينة المنورة بدأ النبي ﷺ وضع أسس الدولة الحديثة التي سيطرت بعد فترة بسيطة من ظهورها على العالم القديم وقلبت مفاهيمه رأساً على عقب، وكانت بحق الانعطافة الأولى في ظهور الدولة الحديثة، وأكدت كما يقول الباحثون في التاريخ: «إن أي قفزة من قفزات التقدم الإنساني لا تأتي إلاّ بعد ظهور نبي من الأنبياء»[2]، وهذا ما أثبته واقعياً الدكتور مايكل هارت بقوله في كتابه (المائة الأوائل): «ولكن في اعتقاد المؤلف أن محمداً ﷺ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي، لقد أسس محمد ﷺ ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته فإن تأثيره لا يزال قوياً وعارماً»[3].

---

(١) المراجعات، عبدالحسين شرف الدين، ص١٣٠.

(٢) أقوى وآخر أمة في التاريخ، عبدالله علي، ص٢٥٨.

(٣) المائة الأوائل، مايكل هارت، ص٢١.

عند وصول النبي محمد ﷺ إلى المدينة شرع في بناء المسجد، ليكون مقر القيادة الجديدة، ومكان التقاء الإخوة؛ لأنه ﷺ كان قد آخى بين المهاجرين والأنصار. وينقل الإمام الشيرازي «وقد تمت عملية المؤاخاة مرتين، وفي كل مرة اتخذ النبي ﷺ علياً أخاً له من دون الناس»[1]، وقال في ذلك حديثه المتواتر: «يا علي! أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه ليس بعدي نبي»[2].

ومن ذلك المسجد المتواضع صدرت (صحيفة المدينة) التي «تعد أقدم دستور مكتوب في العالم»[3]، وهي بحق دستور متكامل، فهو يضع الأسس التي تقوم عليها الدولة، ويحدد العلاقة بين الفرد وربه، ويحكم القيادة الشوروية الواعية ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾[4]، وينظم شؤون الحياة بين المسلمين وغير المسلمين، في السلم وفي الحرب، في القيام وفي القعود، ويترك لغير المسلمين حق حرية الاعتقاد، ومما جاء في ذلك الدستور:

---

(١) ولاول مرة في التاريخ، السيد محمد الحسيني الشيرازي، ج١، ص١٥٦.

(٢) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، النسائي، ص٦٠، حديث رقم ٦٣. صحيح البخاري، ج٥، ص٢٤. المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ص١١٧.

(٣) السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية، د. مهدي رزق الله، ص٣١٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد بن عبدالله النبي ﷺ بين المؤمنين من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس... وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر والإسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليه، وإن سلم المؤمنين واحدة... وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم. وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ[1].

وبعد أن أمَّنَ رسول الله ﷺ جبهته الداخلية، انطلق ينشر دعوته في الخارج، لا يبطئ من ذلك إلاّ وقوف قريش -بخيلها وخيلائها- في وجهه ﷺ، وقد وقعت بينه وبينها عدة مواجهات مسلحة، كان النصر فيها جميعها -كما يذكر الزعيم الركن محمود شيت خطاب[2]- للنبي محمد ﷺ، والشاهد الذي يهمنا من هذا البحث هو بعض الدروس والعبر المستفادة من بعض المعارك:

---

(١) سيرة المصطفى من المهد إلى اللحد، هاشم معروف الحسني، ص٢٧٧.

(٢) راجع: كتاب (الرسول القائد)، الزعيم الركن محمد شيت خطاب.

١- معركة بدر الكبرى:

وقعت معركة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة، وكان عدد المسلمين ٣١٣ رجلاً يتناوبون على فرسين وسبعين بعيراً، وعدد المشركين ١٣٠٠ رجلاً ومعهم مائتا فرس وتقريباً سبعمائة بعير، ومن ذلك تعرف نسبة قوة المسلمين إلى قوة المشركين، وعلى ذلك خذ بعين الاعتبار نوعية أسلحة الطرفين وكميتها.

انتصر المسلمون في تلك المعركة انتصاراً باهراً رغم البون الشاسع بين الطرفين في القوة المادية، وقتل من المشركين سبعون رجلاً وأسر سبعون، بينما لم يقتل من المسلمين إلاّ أربعة عشر رجلاً.

كان من بين الأسرى وهب بن عمير بن وهب الجمحي، فتعاهد والده مع صفوان بن أمية على أن يقتل عمير النبي ﷺ وتعهد له صفوان قائلاً: «عليَّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا»[1].

انطلق عمير إلى المدينة بحجة فداء ابنه الأسير لدى المسلمين، ووصلها ورسول الله ﷺ في المسجد، فسأله الرسول: «اصدقني ما أقدمك؟ قال: قدمت في أسيري، قال: فما الذي شرطت لصفوان بن أمية في الحِجر؟ فقال: ما

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ج٢، ص٣٧٢.

شرطت له شيئاً، قال: تحمّلت له بقتلي على أن يعول بنيك ويقضي دينك، قال عمير: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنك رسول الله»[1]، واعترف بما دار بينه وبين صفوان بن أمية، وأن ذلك الأمر كان سراً بينه وبين صفوان لم يعلم به أحد إلاّ الله.

لقد انتصر المسلمون في معركة بدر لأنهم أخذوا - بالإضافة إلى العقيدة الحقة- بالأسباب الطبيعية التي تؤدي إلى النصر، ومن أهم تلك الأسباب كما يقول محمود شيت: «كان الرسول هو القائد العام للمسلمين، وكان المسلمون يعملون كَيَدٍ واحدةٍ بقيادة قائد واحد، أما المشركون فلم يكن لهم قائد عام، كان أكثر سراة قريش مع المشركين، لذلك فقد طغت الأنانية الفردية على المصلحة الموحدة أثناء القتال، وحاول كل رجل من رجالات قريش أن يظهر نفسه بطلاً لتتحدث العرب عنه، دون أن يكترث بنتائج ذلك على المعركة»[2].

٢- معركة أحد:

وقعت معركة أحد في السنة الثالثة للهجرة، وقد بلغ عدد المسلمين في هذه المعركة ٦٥٠ راجلاً وخمسين فارساً

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ج٤، ص١٤٩.
(٢) الرسول القائد، محمود شيت خطاب، ص٧٨.

بقيادة رسول الله ﷺ، وحشدت قريش نحواً من ٣٠٠٠ محارب بقيادة أبي سفيان ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير.

خرج رسول الله ﷺ بجيشه خارج المدينة من جهة مكة وهناك عسكر ووضع خطة محكمة لسير المعركة؛ إذ جعل جبل أحد يحمي ظهر جيشه، ووضع عليه خمسين رجلاً من خيرة الرماة بقيادة عبدالله بن جبير، وأمرهم بألاَّ يعصوا له أمراً، وقال: «لا تبرحوا مكانكم، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا»[1].

انتصر المسلمون في البداية لأنهم اتبعوا أمر رسول الله ﷺ، ولكن لما رأى الرماة الذين أمرهم الرسول بالمكوث على الجبل مهما حصل للمسلمين، عصوا أمر عبدالله بن جبير رضي الله عنه، وعصوا أمر رسول الله ﷺ، ونزلوا يلتقطون الغنائم، فاستغل خالد بن الوليد الفرصة وقتل من بقي من الرماة على ظهر الجبل، وكرَّ على المسلمين وأعمل فيهم السيف، لتنتهي المعركة بقتل سبعين من خيرة الصحابة منهم حمزة عم النبي ومصعب بن عمير سفير النبي إلى المدينة رضي الله عنهما.

وهكذا يلقننا الله سبحانه وتعالى درساً بليغاً في طاعة

---

(١) تفسير الطبري، أبو جعفر الطبري، ج٤، ص٨٢.

رسوله ﷺ، وعدم عصيان أوامره، لأن في عصيانه والاستخفاف بأوامره التيه والتفرق والتمزق والضلال، وفي ذلك نزل قوله[1] عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[2].

٣- غزوة الأحزاب (الخندق):

سميت كذلك لأن مشركي ذلك العصر اتفقوا مع اليهود -كما يتفقون في العصر الحديث- على رد المسلمين عن دينهم أو إبادتهم فكوّنوا جيشاً من عشرة آلاف مقاتل، بينما كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، وكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة.

علم رسول الله ﷺ بما تُعدُّ له قريش ويهود، فاستشار أصحابه فيما هم فاعلون، فكان رأي الأغلبية أن يتحصنوا في المدينة «وأشار سلمان الفارسي بالخندق واستحسنه القوم، ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ بصواب رأي سلمان رضي الله عنه، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال النبي: سلمان منا أهل

---

(١) أسباب النزول، أبو الحسن النيسابوري، ص٧٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٢.

البيت»[1].

عيّن رسول الله ﷺ مسار حفر الخندق في الجهة الشمالية من المدينة، وهي الجهة الوحيدة المكشوفة أمام الغزاة، وحدد أبعاده بحيث كان طوله ٥٠٠٠ دراع، وعرضه ٧ ـ ٩ أدرع، وعمقه ٧ ـ ١٠ أدرع، وقد استغرق حفر الخندق بوسائل ذلك العصر قرابة شهر، وكان على كل ١٠ من المسلمين أن يحفروا ٤٠ ذراعاً[2].

وأثناء الحفر اعترضت المسلمين صخرة عظيمة لم يتمكنوا من تفتيتها فاستنجدوا برسول الله ﷺ، ضربها الرسول العظيم ثلاث ضربات، ينبعث في كل ضربة شرر كالبرق يخطف أبصار الحاضرين «فسأل سلمان النبي ﷺ عن ذلك فقال: أضاءت الحيرة وقصور كسرى في البرقة الأولى، وأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثانية القصور الحمر من أرض الشام والروم، وأخبرني أن أمتي ظاهرة فأبشرو»[3].

---

(١) ولاول مرة في تاريخ العالم، السيد محمد الحسيني الشيرازي، ج١، ص٢٨٦.

(٢) المصدر: السيرة النبوية في المصارد الأصلية، الدكتور مهدي رزق الله أحمد، ص٤٤٦. والدراع نصف متر تقريباً، وهذا يعني أن طول الخندق قد قارب الثلاثة كيلومترات، ولا تزال آثاره باقية إلى الآن فيما يعرف بالمساجد السبعة.

(٣) تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ج١٣، ص١٧٠.

وصل المشركون ناحية المدينة في شهر شوال من السنة ٥ هجرية - ٦٢٦ ميلادية، ففوجئوا بوجود الخندق وأسقط في أيديهم، فقالوا: «والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها»[١]، ولم يكن في استطاعتهم عمل شيء سوى الجلوس والانتظار، إلاّ أن عمرو بن عبد ود وهو أحد أبطال قريش الشجعان استطاع قفز الخندق بفرسه إلى جهة المسلمين، وأخذ يسخر منهم ويستهزئ بمعتقداتهم ويتحدى أبطالهم قائلاً: «يا من تزعمون أننا إذا قتلناكم تدخلون الجنة، وأنكم إذا قتلتمونا دخلنا النار، هلموا إليّ فأنا بانتظاركم»[٢].

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
إني كذلك لم أزل متسرعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

ومع العلم أن النبي ﷺ نادى في المسلمين ثلاث مرات، وضمن لمن يبرز لعمرو الجنة، إلاّ أنه لم يجبه إلاّ الإمام علي بن أبي طالب، فبرز وهو يرتجز:

لا تعجلنَّ فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيـ ـم عليك نائحة الجنائز

---

(١) تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، ج١٦، ص٢٩٦.
(٢) خاتم النبيين محمد ﷺ، سميح عاطف الزين، ج٢، ص٤٠٠.

من ضربة نجلاء يبـ ـقى صيتها بعد الهزاهز

وفي ذلك الموقف قال رسول الله ﷺ: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله»[1]، ولما قتل بطل الإسلام الخالد الإمام علي بن أبي طالب عمرو بن عبد ود وعاد برأسه إلى رسول الله ﷺ قال رسول الله: «لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة»[2].

رغم ذلك الحشد الهائل الذي حشده اليهود، وتَحَزُّب المشركين ضد المسلمين، إلى درجة أن العليم الخبير وصفهم بقوله: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾[3]؛ رغم كل ذلك انتصر المسلمون انتصاراً باهراً ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[4].

لم تكن معركة الأحزاب كما يقول الغزالي «معركة

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، العلامة هاشم البحراني، ج٣، ص٣٠٣.
(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ج٣، ص٣٤، حديث رقم ٣١.
(٣) سورة الاحزاب، الآية ١٠ ـ ١١.
(٤) سورة الاحزاب، الآية ٢٥.

خسائر بل معركة أعصاب، فقتلى الفريقين من المؤمنين والكفار يُعدّون على الأصابع»[1]، ولكنها هي التي قلبت موازين القوى لصالح المسلمين، وبدلت موقفهم من الدفاع إلى الهجوم، وصدق من لا ينطق عن الهوى حيث قال ﷺ: «ذهبت ريحهم ولا يغزوننا بعد اليوم، نحن نغزوهم إن شاء الله»[2].

وهذا ما حصل بالفعل، فبعد غزوة الأحزاب لم تقم لليهود ولا للمشركين قائمة، فبالنسبة لليهود فقد أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة تباعاً، وأما بالنسبة للمشركين فقد تُوِّجت السرايا والبعوث التي أرسلها رسول الله ﷺ، بتوقيع صلح الحديبية بين المسلمين وقريش في السنة السادسة للهجرة.

وفي السنة الثامنة للهجرة، عام ٦٣٠ للميلاد، أي بعد ثلاث سنوات فقط من غزوة الأحزاب أعدّ رسول الله ﷺ العدة لفتح مكة، وطلب من أصحابه أن يكون هذا سرًّا بينهم، ولكن الصحابي حاطب بن ابي بلتعة خالف أمر رسول الله وبعث إلى قريش برسالة مع امرأة.

علم رسول الله ﷺ بالأمر عن طريق الوحي، فأمر علي بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود أن

---

(١) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، ص٣٣٩.

(٢) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج٢٠، ص٢٧٣.

يلحقوا بالامرأة ويأخذوا الكتاب منها، لحق الثلاثة بالامرأة وطلبوا منها الكتاب، فأنكرت أن يكون معها كتاب! ففتشوا رحلها وفتشوها فلم يجدوا عندها شيئاً، «فقال الزبير: ما نرى معها شيئاً، فقال أمير المؤمنين: والله ما كذبنا رسول الله ﷺ! والله لتظهرن الكتاب أو لاردنّ رأسك إلى رسول الله، فقالت: تنحيا عني حتى أخرجه، وأخرجت الكتاب من ظفيرتها»[1]، وفيه نزلت سورة الممتحنة وفاتحتها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾.

فتح رسول الله ﷺ مكة، ودخلها وهو يردد: ﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[2]، وفي أقل من سنتين -بعد ذلك- كانت شبه الجزيرة العربية بأكملها قد اعتنقت الدين الإسلامي، «وفي قرن شحيح من القتال استطاعت هذه القبائل البدوية التي كانت تُلهمها كلمات الرسول ﷺ أن تظفر بتأسيس إمبراطورية تمتد من حدود الهند حتى المحيط الأطلسي، وهي أعظم إمبراطورية شهدها العالم حتى ذلك الوقت»[3]، ليس ذلك فحسب، فقد وعد الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بإظهار دينه،

---

(١) تفسير من هدى القرآن، آية الله محمد تقي المدرسي، ج١٥، ص٢٩٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨١.

(٣) المائة الأوائل، الدكتور مايكل هارت، ص٢٣.

وإعلاء كلمته، وسيطرة أتباعه على مشارق الأرض ومغاربها، فقال عز من قائل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

ونحن بانتظار تحقق وعده، الذي لابد أن يتحقق؛ لأنه وعد الله، وحاشا الله سبحانه وتعالى أن يخلف وعده، وكما تحقق وعد الله في المرة الأولى على أيدي الشباب، أمثال علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر ومصعب بن عمير رضي الله عنهم وأرضاهم، تحت قيادة النبي الأمي محمد ﷺ، فسوف يتحقق وعد الله في المرة الثانية على أيديكم أيها الشباب تحت قيادة ابنه الإمام المهدي محمد عجل الله فرجه الشريف.

لعل لهم في منطوي الغيب ثائراً
سيسمو لكم والصبح في الليل موجِ
فيدرك ثار الله أنصار دينه
ولله أوس آخرون وخرزج

---

(١) سورة النور، الآية ٥٥.

ويقضي إمام الحق فيكم قضاءه
تماماً وما كل الحوامل تخدج[1]

فهل أنتم -يا شباب- مستعدون لذلك؟!

(١) مقاتل الطالبين، أبو فرج الأصفهاني، من قصيدة طويلة لابن الرومي يرثي فيها الشهيد يحيى بن زيد بن علي بن الحسين، ص٦٣٩.

الخير في طاعة الرسول

يخرج ابن آدم من بطن أمه وهو في حالة من الضعف والوهن طفلاً رضيعاً، لا يملك لنفسه نفعاً، ولا يدفع عنها ضرًّا، ولا يعلم شيئاً ولا حتى كيف يمسك الثدي الذي منه قوام حياته ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

وشيئاً فشيئاً تشب تلك الدابة عن الطوق، فمن رضيع إلى طفل إلى غلام إلى مراهق تعجبه نفسه، فيستعرض إمكاناته التي يكتشف إذا تقدم به العمر أنها كانت تافهة، ويتعصب لآرائه التي يعرف فيما بعد أنها كانت خاطئة، إلى شاب بدأ يثبت على أرض صلبة، وأخذ يكسب شيئاً من العلم كثيراً أو قليلاً، يعتمد ذلك على توجيهه وفطنته وذكائه، ومقدار ما يمتلكه من بصيرة وطموح.

---

(١) سورة النحل، الآية ٧٨.

وعلى الشاب وهو في هذه المرحلة أن يختار أحد طريقين، الأول طريق الشكر لله سبحانه وتعالى على نعمة إيجاده وعلى ما هيَّأ له من أسباب الحياة الحرة الكريمة، والثاني طريق الكفر ونكران المنن التي لا تُعدُّ ولا تُحصى من النعم التي أنعم الله بها على الإنسان ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۞ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1].

ولا أظن أن شاباً عاقلاً طموحاً يختار الطريق الثانية، فإنه ليس من شيم الشباب الكفر والتنكر لمن يسدي إليهم معروفاً ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[2]، كما أن طموح الشباب لا يتوقف عند حدود هذه الدنيا والذي غالباً ما يكون (العمر الفعّال) للإنسان فيها خمسين سنة تقريباً[3]، ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ

---

(١) سورة الإنسان، الآية ١ ـ ٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٣٠.

(٣) العمر الفعال: هي تلك السنين من عمر الإنسان التي يكون فيها الشخص راشداً عاقلاً سليماً، لا يعوقه عن الحركة والنشاط جهل أو مرض.

أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾[1].

إذن فالطريق الأجدى لنا والأسلم هي ترك طريق الكفر والنفاق، والاغترار بالدنيا القصيرة الفانية التي لا يؤمن جانبها، وسلوك الطريق التي تربحنا الدنيا والآخرة، وهاهو النبي الفتى إبراهيم الخليل سلام الله عليه أنموذجاً ماثلاً للعيان، فرغم مرور أكثر من ٤٠٠٠ سنة على وفاة النبي إبراهيم، لا يزال سلام الله عليه كأنه يعيش بيننا اليوم -هذا في الدنيا- وفي الآخرة يتقلب في جنات النعيم، اقرأ إن شئت قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ۞ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۞ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ۞ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ ۞ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾[2].

فإذا كنا نحب أن نصبح عظماء في الحياة الدنيا، ونفوز بالجنة في الدار الآخرة فعلينا الاقتداء بهؤلاء العظماء ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وأعظم أولئك العظماء -بلا شك- هو النبي محمد ﷺ،

---

(١) سورة النجم، الآية ٢٩ - ٣٠.

(٢) سورة ص، ٤٥ - ٤٩.

(٣) سورة آل عمران، آية ٣١.

ورسول الله ﷺ هو الإنسان الوحيد الموثقة حياته بأدق تفاصيلها مما قبل مولده إلى ما بعد وفاته، وحياته صلوات الله وسلامه عليه كلها دروس عظيمة، لا غنى للفرد المسلم ولا للجماعة المسلمة عنها، ولهذا أوردنا فيما سبق من صفحات جانباً مهماً من حياته ﷺ لكي تكون لنا دروساً عملية نستلهم منها الفكر الوضاء، واتخاذ الهدف الأسمى، والتضحية من أجل الهدف، والعمل بجد وإخلاص، والترفع عن سفاسف الأمور، وزرع العزة والكرامة في أنفسنا بعد أن كادت أن تتحطم بسبب ما يثيره الأعداء من شبهات ضد ديننا، وأن نؤمن بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]، وأن نثق بوعد ربنا سبحانه وتعالى، وكلام نبينا ﷺ، وأن نتأكد أنه لو اجتمعت الجن والإنس على أن يطفئوا نور محمد وآله فلن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[2]، وأن ننظر للمستقبل بعين الوحي، شريطة أن نوفر في أنفسنا قبول تعاليم الوحي.

وهذا ما لمسناه في الصفحات السابقة من انتصار أو

---

(١) سورة المنافقون، الآية ٨.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٢ - ٣٣.

انكسار لجماعة المسلمين تبعاً لطاعتهم أو عصيانهم للرسول ﷺ، وأهم ما نستخلصه من تلك الصفحات:

١- طاعة الرسول ﷺ مدعاة للعزة والانتصار:

من مقارنتنا للانتصار الكاسح للمسلمين في معركتي بدر والأحزاب رغم قلتهم وضعف إمكاناتهم، وانكسارهم في معركة أحد نتيجة اجتهاد بعض الصحابة بالنزول عن الجبل مقابل أمر الرسول لهم بالبقاء، يتبين لنا أن الخير العميم في إطاعته وأن المصائب والضلال في معصيته، وهذا هو السر فيما يحل بنا اليوم من مصائب وبلاء إذ تنكب أغلب المسلمين عن أمره «يا أيها الناس! إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[1]، فلو أن الأمة الإسلامية أطاعته ﷺ في التمسك بأهل البيت، وعدم تقديم غيرهم عليهم لما وصل حالها إلى هذه الدرجة من الذلة والمهانة، ولما تكبدت ملايين الخسائر في الأموال والأرواح.

٢- الاتحاد قوة:

ولا يمكن أن يكون هناك اتحاد إذا لم تكن هناك قيادة، وهذا هو السبب الرئيس في الانتصارات التي حققها

---

(١) عارضة الاحوذي بشرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، ج١٣، ص٢٠٠.

المسلمون الأوائل، وهذا هو ما توصل إليه الزعيم الركن محمود شيت بعد دراسته للمعارك التي خاضها رسول الله ﷺ حيث قال: «لم تكن للأحزاب قيادة موحدة تستطيع السيطرة على جميع القوات، كان لكل قبيلة قائد بل عدة قواد.. لقد كانت النعرة الجاهلية لا الهدف المشترك هي التي تسيطر على القيادة، ولا يمكن أن تنجح مثل هذه القيادة في أي موقف بأي معركة حتى ولو كانت لها كل الظروف المواتية، كما في غزوة الخندق بالنسبة للأحزاب واليهود»[1].

وهذا هو سر الانتصارات التي يحققها يهود العالم الآن، فاليهود يسيرون خلف قيادة واعية موحَّدة، أما المسلمون فلهم خمسون قيادة، كل قيادة تدّعي أنها القيادة المختارة من قِبَل الله، وجاءت بشورى المسلمين، وأنها هي التي عناها رسول الله بقوله: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»[2].

إذن من خلال العقل والنقل والواقع نستخلص أنه لا قوة إلاّ بالاتحاد، ولا اتحاد إلاّ بقيادة موحدة.

وهناك حشد ضخم من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة التي تعيِّن القيادة للمسلمين، وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، فمن الآيات: آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

---

(١) الرسول القائد، محمود شيت خطاب، ص١٥٥.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي، ج٦، ص٦٥.

عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، التي تثبت العصمة لأهل البيت سلام الله عليهم، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[2]، ومنها قوله جل شأنه: ﴿أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[3]، وفي هذه الآية قرن الله سبحانه وتعالى طاعة الرسول وأولي الأمر بطاعته، فلابد أن يكون أولو الأمر معصومين كرسوله.

ولكن من هم أولو الأمر هؤلاء؟

هذا ما تفسره آية الولاية التي تحصر الولاية العامة في الله ورسوله و﴿الَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، فقد ذكر السيوطي «عن عمار بن ياسر قال: وقف على علي بن أبي طالب سائل وهو راكع في تطوع فنزع خاتمة فأعطاه السائل فنزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ الآية»[4]، فأولوا الأمر الواجبة طاعتهم -بالإضافة إلى الله ورسوله- هم علي بن أبي طالب والأئمة

---

(١) سورة الإحزاب، الآية ٣٣.

(٢) سورة المائدة، الآية ٥٥ ـ ٥٦.

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٤) لباب النقول في أسباب النزول، جلا الدين السيوطي، ص٩٣.

المعصومون من ولده، فقد جاء عن جعفر بن محمد الصادق قوله في هذه الآية ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ منكُمْ﴾: «أولو الامر هم الائمة من أهل البيت عليهم السلام»[1].

أما أحاديث السنة المطهرة فقد بلغت آلاف الأحاديث المتواترة، منها ما لا سبيل إلى إنكاره أو تأويله لاتفاق الخاصة والعامة على شيوعه، من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»[2]، ويؤكده حديث آخر قريب من معناه: «ألا إن مَثَل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[3].

وحديث متواتر آخر روته جل كتب الصحاح، وهو إخباره صلى الله عليه وآله وسلم «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»[4]، ومعنى ذلك أن الإسلام سيضل عزيزاً بوجود الإمام، فإذا فُقِد الإمام فقد الإسلام، ولكنه أكد

---

(١) إظهار الحق، مؤسسة أهل البيت، ج١٣، ص٧٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ج٣، .ص١٦٢، حديث رقم ٤٧١٥.

(٣) المصدر السابق، حديث رقم ٤٧٢٠.

(٤) مفتاح كنوز السنة، الدكتور أ. ي، فنسنك، ترجمة محمد عبدالباقي، ص٤٦.

أنهما لن يفترقا أبداً «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل وعتري، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا بم تخلفوني فيهما»[1].

وذلك يعني أن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، وهذا ما توصل إليه ابن حجر العسقلاني في شرحه لحديث: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»[2]، حيث قال: «وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان أو قرب قيام الساعة، دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة»[3]. وذلك عين ما قال به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في موعظة لكميل بن زياد: «اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه»[4].

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٣، ص٢٢.

(٢) صحيح البخاري، ج٤، ص٢٠٥، باب نزول عيسى بن مريم.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج٦، ص٤٩٤.

(٤) نهج البلاغة، فهرست صبحي الصالح، ص٤٩٧. المهدي المنتظر في نهج البلاغة، مهدي فقيه إيماني، ص٥٤.

وبذلك يكون لكل زمان إمام واحد للأمة الإسلامية جمعاء، إما ظاهراً مشهوراً، مثل الإمام علي بن أبي طالب والحسن والحسين كما هو معلوم عن رسول الله ﷺ: «ابناي هذان إمامان إن قاما أو قعدا»[1]، أو خائفاً مغموراً مثل الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين وهو الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، وبذلك يصدق مذهب أهل البيت أحاديث رسول الله ﷺ: «الأئمة بعدي اثنا عشر كلهم من قريش»[2]، و «من مات ولم يعرف أمام زمانه مات ميتة جاهلية»[3]، و «لن يزال هذا الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش، فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها»[4].

---

(١) أئمتنا، علي محمد علي دخيل، ج١، ص١١٠.

(٢) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، لطف الله الصافي الكبايكاني، ص٢٤.

(٣) عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، ص٩٠.

(٤) رواه أنس بن مالك، كنز العمال، ولي الدين المتقي الهندي، ج١٢، ص٣٤، حد٢٣٨٦١. وفي منتخب الاثر للكلبايكاني، ص٢٧، حد٢٩: «... ساخت الارض بأهلها».

اليهود آفة المسلمين

كان أكبر تحدٍّ واجه الجماعة الإسلامية وهدّد وجودها بالفناء، وفكرها بالاستئصال، هو تحزّب كافة المشركين في الجزيرة العربية ضدها، وفي تلك الحالة يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾[1].

وقد كان اليهود المحرض الأول على الحرب ضد المسلمين، فقد كانوا هم المنسق الذي حزّب القبائل العربية المشركة، التي كانت لا تجتمع على رأي ولا تتفق على شيء، وجمّعها لقتال المسلمين، واستطاعوا -كما يقول الشيخ مغنية- «أن يؤلّفوا جيشاً ضخماً لا عهد للجزيرة العربية بمثله من قبل»[2].

---

(١) سورة الأحزاء، الآية ١٠ - ١١.

(٢) إسرائيليات القرآن، محمد جواد مغنية، ص٢٠٨.

هناك عدة دلائل تشير إلى أن اليهود كانوا ينتظرون نبياً سوف يبعث في جزيرة العرب، وطبعاً لا يمكن لأي إنسان مهما أوتي من الفراسة والعلم، أن يعلم ما يخبئه الغد أو بعد الغد فضلاً عن أن يعلم ما سوف يكون بعد آلاف السنين، إذا لم يكن آخذاً ذلك العلم من مدبر الكون أو ممن له صلة بمدبر الكون، ومعنى ذلك أن علم اليهود كان مستمداً من كتبهم، وهذا يدل على أن النبي محمداً ﷺ كان مبشراً به في التوراة والإنجيل.

ومما يؤكد ذلك هجرتهم إلى يثرب واستقرارهم فيها رغم شظف العيش وقساوة الحياة هناك، وتفضيلهم إياها على بلاد الشام ذات الزروع والأنهار والمناخ الطيّب، فقد جاء في السيرة أن أحد أخيارهم ويدعى ابن الهيَّبان قال: «يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قلنا: إنك أعلم، قال: فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه، وهذه البلدة مهاجره»[1].

واحتج القرآن الكريم على مشركي قريش بصدق النبي محمد ﷺ بأن علماء بني إسرائيل كانوا يعلمون أن رسول الله سوف يبعث في تلك الناحية، وذلك بقوله عز من قائل: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ۝ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ج١، ص٢٧٣.

عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1]، وكان اليهود يعترفون بذلك، ويهددون العرب قائلين لهم: «أيها العرب هذا أوان نبي يخرج من مكة ومهاجرته بالمدينة، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم... يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر، لنقتلنكم به يا معشر العرب قتل عاد»[2]، ولكنه لما بعث رسول الله ﷺ وتأكدوا منه من الصفات المذكورة في كتبهم، أعماهم التعصب والحقد والحسد عن الإيمان به، وفي هذا يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[3].

وفي السنة النبوية المطهرة أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام حين أعطاه الراية يوم خيبر: «واعلم يا علي أنهم يجدون في كتابهم: إن الذي يدمر عليهم اسمه (إيليا) فإذا لقيتهم فقل: أنا علي»[4]، امتثل علي عليه السلام لقول النبي ﷺ؛ «فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب، فقال اليهودي: علوتم وما أنزل على موسى»[5].

---

(١) سورة الشعراء، الآية ١٩٦ - ١٩٧.

(٢) بحوث قرآنية، السيد عبدالعلى السبزواري، ج١، ص٣٢٦.

(٣) سورة البقر، الآية ٨٩.

(٤) علي من المهد إلى اللحد، السيد محمد القزويني، ص١٣٨.

(٥) السيرة النبوية، ابن هشام، ج٣ - ٤، ص٣٣٥. وفي قول اليهودي: «علوتم وما نزل على موسى» تصديق لكلام رسول الله ﷺ.

ومع علمهم الأكيد ذاك، فقد أعماهم التعصب والحسد عن الحق، وأوردهم الزيغ عن الحق موارد الهلكة، ففي أثناء تحريض المشركين على حرب المسلمين «نزل كعب بن الأشرف على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت يهود في دور قريش فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فلا يؤمن هذا أن يكون مكراً منكم، فإن أردت أن نخرج معك فأسجد لهذين الصنمين وآمن بهما: ففعل... وقال أبو سفيان لكعب: إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم، ونحن أميون لا نعلم، فأينا أهدى طريقاً وأقرب إلى الحق نحن أم محمد؟.. فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلاً مما عليه محمد»[1]، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً﴾[2].

واليوم يعيد التاريخ نفسه، فحرب اليهود ضد المسلمين تكاد تلمس في جميع المجالات، وذلك لأن عداوة اليهود للمسلمين ليست طارئة ولكنها قديمة قدم الإسلام نفسه، يقول سيد قطب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[3]، «وتضمن

---

(١) تفسير روح المعاني، الالوسي البغدادي، ج٥، ص٥٥.

(٢) سورة النساء، الآية ٥١.

(٣) سورة المائدة، الآية ٨٢.

القرآن الكريم من التقريرات عن هذا العداء ما يكفي وحده لتصوير تلك الحرب المريرة التي شنها اليهود على الأمة المسلمة في تاريخها الطويل، والتي لم تخب لحظة واحدة قرابة ١٤ قرناً وما تزال يتسعر أوارها في أرجاء الأرض جميعاً»[١].

والآية تدل على أنه كلما زاد إيمان الجماعة المسلمة ازدادت عداوة اليهود لهم، أي أنه كلما ازداد تطبيق الإسلام في حياة المسلمين ازدادت اليهود عداوةً لهم، وفي المقابل كلما ابتعد المسلمون عن تعاليم الإسلام ازداد اليهود عنهم رضاً، والسبب كما يقول الدكتور عماد الدين خليل هو أن «نجاح الإسلام كفيل بحد ذاته بحصر اليهود وعزلهم وكشفهم أمام العالم؛ الأمر الذي دفعهم بعد وقت قصير من إدراكهم هذا الخطر إلى أن يقفوا إلى جانب الوثنية ويمتدحوا أصنامها بمواجهة التوحيد الذي جاء به الإسلام»[٢].

إننا نسمع ونرى ونعايش أدلة عداء اليهود لنا، فها هي وسائل الإعلام تنقل لنا من جميع أنحاء الأرض وأقطاب السماء، ما يحل بالمسلمين من توقيف واعتقال وظلم وإرهاب، وتبث الفضائيات مذابح المسلمين على مدار الساعة، وكل ذلك من

---

(١) تفسير (في ظلال القرآن)، سيد قطب، ج٢، ص٩٥٩.
(٢) دراسة في السيرة، عماد الدين خليل، ص٣٢٨.

تخطيط اليهود وأذنابهم الذين أخبرنا الله سبحانه وتعالى بمخططاتهم وحذرنا من الانخداع بهم، وفي ذلك يقول العليم الخبير: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[1]، ويقول في آية أخرى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٧.

الدنيا دار ابتلاء

الأيام تتوالى، والليالي تتقلب، والسنوات تكرّ، وصروف الدهر لا تتوقف ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[1].

عندما نزلت (سورة الإسراء) أو -كما تسمى- (سورة بني إسرائيل) بما تحويه من حقائق مذهلة عن الكون والحياة، لم يكن لليهود أو لبني إسرائيل دولة ولا صولة، بل كانت كل الدلائل تشير على استمرار تشتتهم في الآفاق، وبالتالي فإن الباحث العادي كان يتوقع انقراضهم من الوجود، ولكن العليم الخبير الذي أكّد أن الروم ستنتصر على الفرس بعد سنوات قليلة، وأنزل في ذلك (سورة الروم) ﴿الم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1]، أخبر أن بني إسرائيل ستكون لهم دولة وصولة حيث قال عز من قائل: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[2].

كان ذلك الإخبار قبل الهجرة بسنة، أي عام ٦٢١ الميلادي عندما لم تكن لبني إسرائيل دولة ولا صولة، وفي عام ١٩٤٨م قامت دولة بني إسرائيل، ومنذ ذلك الحين وهي مالئة الدنيا وشاغلة الناس، ليس ذلك فحسب بل أمدها الله بما يلي:

١ـ بأموال؛ فهي الدولة الوحيدة في العالم التي تحصل على ثلاثة مليارات دولار سنوياً من الولايات المتحدة فقط لا غير! عدا مساعدة الدول الغنية الأخرى[3].

٢ـ وبنين؛ فإسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي نمت وتوسعت بسبب الهجرات المتتالية إليها، على عكس الدولة الفلسطينية التي تنمو بسبب خصوبة نسائها.

٣ـ وأكثر نفيراً؛ النفير من النفرة، وهي المسارعة إلى العون والنجدة، ويكون ذلك بكل شيء بما في ذلك الأموال والأولاد والإعلام، «فالمعروف أن إسرائيل هي الدولة

---

(١) سورة الروم، الآية ١ ـ ٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٦.

(٣) أقوى وآخر أمة في التاريخ، عبدالله علي، ص٣١٢.

الوحيدة في العالم التي يسمح الغرب لأبنائه ومواطنيه اليهود بالانتماء لسيادتها، والقتال والموت دفاعاً عن بقائها واستمرار تفوقها على العرب»[1].

ولكن هل أحسن بنو إسرائيل إلى أنفسهم على تلك النعم التي أنعم الله بها عليهم، مع العلم أنه سبحانه حضهم على الإحسان، وحذرهم من الإساءة ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[2].

إن واقع إسرائيل اليوم يثبت أنهم لم يلتفتوا إلى إحسان الله لهم ولا إلى تحذيره، وما يجري على أرض الإسراء والمعراج من قتل للأنفس البريئة، وتدمير للديار العامرة، وتجريف للأراضي الخصبة، كلها شواهد حية على ذلك، فلا بد أن تدور الدائرة على بني إسرائيل كما أخبر الحكيم الخبير حتى تكتمل الآية السابقة ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾.

يقول الشيخ إبراهيم الأنصاري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[3] والآيات التي

---

(١) مجلة (الباحث العربي) العدد ٣٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٤.

أوردناها سابقاً: «إن القرآن الكريم في هذه الآيات أخبر عن أربعة حوادث تقع في المستقبل، وقد وقع إلى زماننا هذا ثلاثة منها، وننتظر وقوع الرابعة، وهذه الحوادث هي فسادان وانتقامان»[1].

فقد وقع من بني إسرائيل إفساد في الماضي فأنزل الله بهم غضبه ونقمته، وما يحصل في العالم الآن من مصائب وحروب ناتجة عن تخطيط اليهود وتدبيرهم هو الإفساد الثاني، وأي فساد وعلو وجبروت أعظم مما يجري الآن في فلسطين، إذن وقد أصبح الإفساد الثاني واقعاً ملموساً، فلابد أن يتبعه الانتقام الثاني، وقد لاحت بشائره في الأفق، ولكن كما يقول الشيخ ناصر الشيرازي: «ينبغي أن نلتفت إلى أن قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ تفيد أن الرجال الذين سيؤدبون بني إسرائيل على فسادهم وعلوهم وطغيانهم، هم رجال مؤمنون شجعان، استحقوا لقب العبودية لله»[2].

تذكر التفاسير عند إيرادها قصة القائد طالوت أن الله جلت قدرته امتحن بني إسرائيل بعدة ابتلاءات:

١ـ أمَّرَ عليهم شاباً مغموراً، ليس من ذوي المال والجاه، فاعترضت طائفة منهم وقالوا لنبيهم: ﴿أَنَّى يَكُونُ

---

(١) ملاحم القرآن، الشيخ إبراهيم الأنصاري، ص١٠٥.
(٢) التفسير الامثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٨، ص٣٦١.

لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾[1]، ومع ذلك لحق به عشرات الآلاف.

٢- بعد أن قبلوا -على مضض- بذلك الفتى طالوت قائداً لهم «قال لهم مؤكداً: إنه لا يريد أن يسير معه للقتال إلاّ الذين ينحصر كل تفكيرهم في الجهاد»[2]، فانخفض عددهم إلى ثمانين ألفاً.

٣- وبعد مسيرة مضنية عبر صحراء قاحلة، وشمس محرقة، لملاقاة العدو ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾[3]، وينقل الطبري عن السدي «فشربوا منه هيبة من جالوت، فعبر منهم أربعة آلاف ورجع ستة وسبعون ألفاً»[4].

وكانت النتيجة أن انتصار الفئة القليلة المؤمنة الواثقة بلقاء الله التي قالت: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[5]، على الفئة الكثيرة الباغية، وذلك بأن قتل داود -وكان تحت قيادة طالوت- قائد جيش الأعداء

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

(٢) التفسير الامثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٢، ص٢٤٩.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

(٤) تفسير الطبري، ج٢، ص٣٩٢.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٥٠.

جالوت فانهزم جيشة الجرار هزيمة منكرة.

وهكذا اختبر الصحابة الأخيار رضوان الله عليهم وزلزلوا زلزالاً شديداً، اختبروا في معركة بدر، ومعركة أحد، وفي غزوة الأحزاب، واختبروا قبل ذلك وبعد ذلك.

وكنموذج للابتلاء يشبه ما عليه شبابنا اليوم، فلنأخذ مصعب بن عمير رضي الله عنه مثلاً:

ولد مصعب لأبوين قرشيين ثريين، فأبوه عمير بن هاشم بن عبدمناف من بني عبدالدار، وأمه خناس بنت مالك المطرف، ويبدو أن أمه كانت هي المسيطرة على الأسرة المدبرة لشؤونها، وعادة ما ينفلت الشباب في الأسر التي تسيطر فيها الأم على الأب.

كانت حياة مصعب بن عمير في شطرها الجاهلي حياة ترف ونعيم، فقد كان أبواه يحبانه حبًّا شديداً، وكانا يعطفان عليه ويدللانه، ومما زاده افتتاناً وأبهة، جمال الطلعة، ووفرة النعمة، فكان كما يقول بريغش: «يحضر نوادي مكة وملاهيها، ويكون قطب الرحى بين شبابها، تحبه النساء، وتهواه العذارى، يقضي وقته لهواً وطرباً وشرباً، ويغرف في الحياة العابثة»[1].

كان مصعب بن عمير رضوان الله عليه مضرب المثل

---

(١) مصعب بن عمير، محمد حسن بريغش، ص٤٦.

في الترف والنعيم، وكان يلبس أرق الثياب وأنعمها، ويضع عطراً يشم من مسافة بعيدة، وكانت له مشيته الخاصة التي يعرف بها، حتى إن رسول الله ﷺ قال فيه: «ما رأيت بمكة أحسن لمة، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير»[1]، ولكنه بعد أن عرف الإسلام ترك حياة اللهو والمجون، ليس ذلك فحسب بل تنازل بمحض إرادته عن حياة البذخ والترف مفضلاً عليها حياة البؤس والشظف في سبيل الله ورسوله الذي رآه بعد ذلك وعليه جلد كبش، فرق لحاله وقال: «انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغدوانه بأطيب الطعام والشراب، ولقد رأيت عليه حلة شراءها بمائتي درهم، فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون»[2].

تحول ذلك الشاب الفتي مصعب بن عمير من تلك الحياة المترفة الناعمة، بل من قمة حياة الميوعة والضياع، إلى حياة الجد والعمل، وظل يتدرج على طريق الكمال الإنساني إلى أن بلغ درجة استأهل معها أن يكون رسولاً لرسول الله ﷺ، فقد بعثه رسول الله إلى المدينة المنورة ليكون سفيراً له فيها، يدعو أهلها إلى الإسلام، وليكون معلماً لهم يرشدهم إلى تعاليم الدين الجديد، وقد دخل في الإسلام على يديه عدد كبير من أهل المدينة، ومهّد المدينة لاستقبال النبي ﷺ.

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الاثير، ج٤، ص٣٧٠.

(٢) حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، ج٢، ص٢٧٣.

وكانت نهاية حياة مصعب بن عمير القصيرة الاستشهاد في سبيل الله في معركة أحد، فنال بذلك أعلى الدرجات، وكان من الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[1].

أخي الشاب؛ ألا نستطيع أن نتحول نحن كما تحول تِربُنا[2] مصعب رضي الله تعالى عنه وأرضاه «لقد كان وضع مصعب بن عمير يشبه وضعنا في الوقت الحاضر، فهل نشبه نحن مصعب بن عمير؟!»[3].

وهكذا اختبر الإمام الحسين عليه السلام الآلاف الذين اتبعوه، ابتداء من خطبته سلام الله عليه في بيت الله الحرام في ليلة الثامن من شهر الحج، والتي جاء فيها: «خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة.. وخير لي مصرع أنا لاقيه: كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا -إلى أن يقول- من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى»[4].

---

(١) سورة النساء، الآية ٦٩.

(٢) ترب المرء: المساوي له في العمر.

(٣) ما يريد الشباب: الطعم والبديل، للمؤلف، ص٣٠.

(٤) قادتنا كيف نعرفهم، الدكتور محمد علي عبدالجبار، ج٦، ص٧١.

عندما سمع الناس ذلك من الإمام الحسين عليه السلام ووعوه، انصرف عنه الألوف من الآلاف الذين كانوا يتبعونه، ومع ذلك خرج معه عدد كبير، وكانت الأيام تتوالى والامتحانات تعسر، وإخباراته صلوات الله عليه تتكشف، وكلما مرَّ موقف تبعثر فيه قوم، وكلما جرى اختبار سقط فيه آخرون، مما دعاء الإمام عليه السلام إلى قوله كلمته المشهورة: «إن الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون»[1].

وفي نهاية المطاف لم يتبق مع الإمام الحسين عليه السلام سوى الصفوة، الذين لم يتعدوا -على أحسن الأقوال- مائة وعشرين رجلاً، والذين سوف يتحدون على مر الأزمان والعصور جيشاً جراراً، عبر عنه أحد الشعراء بقوله: «أوله بالطف وآخره بالشام متصل»، وقال عنه العقاد: «إن الأريحية التي سمت إليها طبائع أنصار الحسين، إنما هي أريحية الإيمان، الذي يعتقد صاحبه أنه يموت في نصرة الحسين، فيذهب لساعته إلى جنات النعيم»[2]، ومع ذلك بقي الإمام الحسين يمحص تلك الثلة التي خلصت معه إلى آخر لحظة، فها نحن نسمعه ليلة العاشوراء يقول: «إن هؤلاء يريدوني دونكم، ولو قتلوني لم يصلوا إليكم، فالنجاء النجاء، وأنتم

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول، أبو محمد الحسن بن علي الحراني، ص١٧٦.

(٢) أبو الشهداء الحسين بن علي، عباس محمود العقاد، ص٢١.

في حل، فإنكم إن أصبحتم معي قتلتم كلكم، فقالوا: لا نخذلك ولا نختار العيش بعدك»[1].

وممن قال ذلك مع جماعة الأنصار، زهير بن القين البجلي، ولما طلب منه الإمام الحسين شخصياً الانصراف قال: «لا والله لا يكون ذلك أبداً، أترك ابن رسول الله ﷺ أسير في يد الأعداء وأنجو؟! لا أراني الله ذلك اليوم»[2]. وقبل أيام -من ذلك فقط- كان زهير هذا عثماني المذهب، أموي الهوى.

خرجت قافلة زهير من مكة المكرمة في نفس الوقت التي خرجت فيه قافلة الإمام الحسين، وكانوا من العداوة والكره لهم بحيث كانوا يتحاشون التخييم معهم في مكان واحد، حتى إذا كانوا في منطقة تسمى (زرود) كان لابد لهم من التخييم متقاربين.

أرسل الإمام الحسين عليه السلام إلى زهير يطلب منه مقابلته، نزلت كلمات رسول الحسين على زهير رحمه الله نزول الصاعقة، التي لم يفق منها إلاّ على كلمات زوجته المؤمنة (دلهم بنت عمرو): «أيبعث لك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟! سبحان الله! لو أتيته فسمعت من كلامه»[3].

---

(١) عوالم العلوم الإمام الحسين، محمد باقر المرتضى، ج٧، ص٣٤٤.
(٢) المصدر السابق، ص٣٣٨.
(٣) تاريخ الطبري، ج٣، ص٣٠٢.

لبَّى زهير بن القين رضوان الله عليه دعوة الإمام الحسين عليه السلام على مضض، ولكن ما أسرع أن عاد إلى قافلته بغير الوجه الذي ذهب به، عاد فقط ليقول لأعز الناس لديه: «الحقي بأهلكِ، فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا الخير، لأني أفديه -يقصد الحسين- وأقيه بنفسي، فلم تزد أن قالت: خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين عليه السلام»[1].

فهل نكون نحن أبناء القرن الخامس عشر الهجري، على هذا المستوى من الوعي والإيمان والتضحية، فنودع قافلة اللهو والضياع، وننسل من جيوش النفاق والضلال، ونلتحق بجيش الحق والعدل والسلام، تحت قيادة شبيه الحسين، الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: «لا تذهب الدنيا حتى يقوم بأمر أمتي رجل من ولد الحسين، يملأ الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً»[2].

ويتساءل العلامة السيد المدرسي «من منا لا يرغب في أن يكون يوم القيامة في صف الحسين الطويل، الذي يظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلاّ ظله؟ من منا لا يرغب في أن يكون من الشباب الذي يسودهم الحسين في الجنة باعتباره (سيد شباب أهل الجنة)»[3]، والجواب أننا جميعاً نرغب في

---

(١) التسيير الذاتي لانصار الحسين، محمد علي عابدين، ص١٥٦.
(٢) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبري، ص٢٣٧.
(٣) الشهيد والثورة، السيد هادي المدرسي، ص٢٧١.

ذلك، ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[1].

إذن فلنهيئ أنفسنا -بالتقوى والعمل الصالح- لكي تتقبل أن تكون من أنصار المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف، الذي هو امتداد لجده الحسين، وهو الذي يأخذ له بثأره من الذين قتلوه، وهو الذي يعيد العزة والكرامة للأمة الإسلامية بعد أن سُلبتها مدة طويلة.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٠.

سنة التغيُّر والتطور

إذا تابعنا نشرات الأخبار التي تعرض على مدار الساعة.

إذا تابعنا ما تضخه المطابع ودور النشر من كتب.

إذا تأملنا في واقعنا المعاش، إذا فكرنا فيما يدور في الدنيا من أحداث.

إذا تدبرنا في الكون بأسره نرى العجب العجاب.

يقول الشيخ حسن الصفار: «خروج المهدي ووفقاً للنصوص الواردة، يعني قيام الحضارة الإسلامية العالمية... لكن ذلك لا يحصل فجأة، ولا تبدأ خطواته على يد المهدي، بل وكما يظهر من النصوص، وتوحي به طبيعة التحولات، أن انبعاثاً يحصل في الأمة باتجاه الإسلام، وتهيؤاً على مستوى الإنسانية لقبوله، كخلاص من الأزمات المتفاقمة»[1].

---

(١) الإمام المهدي وبشائر الأمل، حسن موسى الصفار، ص٢٨.

ذلك قول شاهد للواقع المعاصر من عالم من العلماء المسلمين، وشهادة أخرى من عالم مسيحي قالت عنه جريدة الشرق الأوسط: إنه سياسي ورجل دين وصديق قوي لإسرائيل، وهو مؤلف كتاب (ما بعد العراق)، والذي يتوقع فيه قيام علاقة بين العراق وإسرائيل بسبب الضغوط الأمريكية «لكن الكاتب يتوقع ألاَّ يستمر السلام بين العراق وإسرائيل لفترة طويلة، وإن حاكماً قوياً وجباراً سوف يظهر في العراق، ويلغي اتفاقية السلام مع إسرائيل -ليس ذلك فحسب بل- يغزوها ويحتلها، ويدمر المعبد اليهودي، ويقتل اليهود، ويخلق فوضى في الشرق الأوسط، وسوف تكون هذه التطورات من علامات عودة المسيح -وتعلق الشرق الأوسط- لكن الكتاب يتعمد عدم ذكر بقية نبوءة (العهد الجديد)، وهي: أن المسيح سيقتل اليهود، ويجبر ما تبقى منهم على اعتناق المسيحية»[1].

ويصدق الإسلام كما جاء في قوله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۞ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[2] ما جاء في الكتب السماوية المقدسة ومنها (العهد القديم والعهد الجديد)، وإن حاكماً قوياً وجباراً

---

(١) جريدة الشرق الأوسط، في ٥/ ١١/ ١٤٢٤هـ - ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٣م.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣ - ٤.

سوف يحارب إسرائيل ويقتل اليهود، وأن عيسى بن مريم سلام الله عليهما سوف يشترك معه في ذلك، مع تعديل طفيف هو أن عيسى عليه السلام لن يجبر ما يتبقى من اليهود على اعتناق المسيحية، بل سوف يجبر اليهود والمسيحيين على اعتناق الإسلام؛ لأنه هو شخصياً سوف يكون مسلماً.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «قد أفلحت أمة أنا أولها، وعيسى آخرها، فيصلي خلف رجل من ولدي»[1] يقصد المهدي، وهذا ما أكّده القرآن الكريم بقوله عز من قائل: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[2]، ففي تفسيرها يقول الطبري: «﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ يعني بعيسى، ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يوجه ذلك إلى أن جيمعهم -أي أهل الكتاب- يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها ملة واحدة، وهي ملة الإسلام الحنفية، دين إبراهيم عليه السلام»[3].

إذن فالتغيير آتٍ لا محالة، شئنا ذلك أم أبينا، والتغيّر في الكون عادة أمر طبيعي، إلاّ أن يكون تغيراً نحو حالة معينة بشرّت بها النصوص منذ مئات السنين، وها نحن

---

(١) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، لطف الله الكالبايكاني، ص٣١٧.

(٢) سورة النساء، الآية ١٥٨ - ١٥٩.

(٣) تفسير الطبري، ج٦، ص١٤.

نلمس صدقها هذه السنوات.

والتغير حاصل في ثقلين: ثقل الطبيعة، وثقل الإنسان، وينتج عن ذلك تغيرات كثيرة على الأرض والمناخ والواقع والأنفس.

١- ثقل الطبيعة:

بشر المصطفى ﷺ قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة بقوله: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»[١]، واختياره ﷺ لكلمة (تعود) هي غاية الحكمة والدقة، لأن كلمة (تعود) تربط الماضي بالمستقبل، ومعنى ذلك أن أرض العرب كانت في الماضي مروجاً وأنهاراً، وحتماً ستعود مروجاً وأنهاراً كما كانت.

وجاءت الاكتشافات العلمية الحديثة، لتأكد ما أخبر عنه من لا ينطق عن الهوى منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة، فقد ذكر الدكتور فاروق الباز مدير مركز أبحاث الفضاء في جامعة بوسطن «أن اكتشاف مجرى نهر قديم كانت تصل مياهه من جبال الحجاز وحتى ساحل الخليج العربي، يعطي دلالات أكيدة على أن المنطقة كانت تهطل عليها أمطار غزيرة في الماضي»[٢]، ويعزز الدكتور محمد يحيى مشرف

---

(١) مسند الإمام أحمد، ج٢، ص٤٩١.

(٢) مجلة الشروق في ٢/ ١/ ١٩٩٥م.

البحوث ومشروعات الاستشعار عن بعد في جامعة الإمارات العربية المتحدة قائلاً: «عرفت الأوقات المطيرة في شبه الجزيرة العربية بشواهد عدة، فقد وجد عدد كبير من البحيرات بخاصة في الربع الخالي، حيث تظهر الرسوبيات وبقايا الأحياء، آثار بحيرة عظيمة في هذه المنطقة المنخفضة ابتداء من ليوا»[١].

يرى الفلكي البريطاني نيفل كالدر مؤلف كتاب (حركة الطقس)، أن الجليد سيغطي ١٢ دولة من دول شمال أوروبا، أما حوض البحر الأبيض المتوسط والوطن العربي وتركيا وإيران فسيسودها أمثل مناخ، وخاصة أن صحاري أفريقيا وجنوب غرب آسيا ستنال حظاً أوفر من المطر[٢].

وقد سجلت مراكز الأرصاد في السنوات الأخيرة اضطراب في موجات البرد في نصف الكرة الأرضية الشمالي، وموجات الحر في نصف الكرة الأرضية الجنوبي، مما لم يسبق له مثيل منذ سنوات طويلة، ولوحظ ازدياد شتاء نصف الكرة الشمالي طولاً من متوسط ٨٤ يوماً في عام ١٩٦٧ إلى ١٠٤ أيام في عام ١٩٧٣م[٣].

---

(١) المصدر السابق، وهذا يتفق مع ما أثبتته الدراسات الطبوغرافية التي قامت بها شركة أرامكو لاغراض التنقيب عن البترول.

(٢) مجلة الرسالة عدد مارس ١٩٩٤م.

(٣) مجلة الشراع في ١٣/ ٧/ ١٩٩٢م.

٢- ثقل الإنسان:

كذلك بشر به المصطفى ﷺ على مستوى القائد وعلى مستوى أنصار القائد، فقال عن القائد: «ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه، حتى تضيق عنهم الأرض الرحبة، وحتى يملأ الأرض جوراً وظلماً، لا يجد المؤمن ملجأ يلتجئ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً من عترتي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدخر الأض من بذرها شيئاً إلاّ أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً إلا صبه الله عليهم مدراراً، يعيش فيها سبع سنين أو ثمان أو تسع، تتمنى الأحياء الأموات مما صنع الله عز وجل بأهل الأرض من خيره»[١].

وأما عن أنصار ذلك القائد فيقول النبي ﷺ: «تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين! قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: بل منكم»[٢]، أي أنه للشخص الملتزم بدينه في آخر الزمان أجر خمسين من الصحابة.

وفي حديث آخر يقول رسول الله ﷺ: «ليتني أرى

---

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج٤، ص٥١٢، ح٨٤٣٨.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج٧، ص٦.

إخواني وروداً عليَّ الحوض فأستقبلهم بالآنية فيها الشراب، فأسقيهم من حوضي قبل أن يدخلوا الجنة! فقيل له: يا رسول الله! أولسنا إخوانك؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواني من آمن بي ولم يرني»[1]، ومعنى ذلك أن آمن به ولم يره فهو من إخوانه، وهم أفضل من بعض أصحابه، فقد ورد عنه ﷺ قوله: «أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إليَّ رجال منكم، حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي؟! يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[2]، فهؤلاء من أصحابه ﷺ يمنعون من الحوض، بينما نراه ينتظر إخوانه بشوق ولهفة لكي يسقيهم من حوضه.

وحين سئل المصطفى ﷺ: « يا رسول الله! أرأيت من آمن بك وصدقك ولم يرك؟ قال: طوبى لهم، ثم طوبى لهم! أولئك منا وأولئك معنا»[3]، ومعنى هذا أن المؤمن به والمصدق لما جاء به ﷺ في هذا الزمان، يبلغ المرتبة التي بلغها سلمان المحمدي رضوان الله عليه؛ لأن النبي ﷺ قال عن سلمان: «سلمان منا أهل البيت»[4]، وعن إخوانه في آخر الزمان قال: «أولئك منا أولئك معنا»، وطوبى ثم طوبى

---

(١) كنز العمال، ابن حسام الدين الهندي، ج١٤، ص٤٨، ح٣٧٩٠٠.
(٢) صحيح البخاري، ج٩، ص٥٨.
(٣) كنز العمال، ابن حسام الدين الهندي، ج١٤، ص٤٧.
(٤) السيرة النبوية، ابن هشام، ج٣، ص٢٢٤.

لمن يبلغ مرتبة سلمان المحمدي، الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان»[1].

إن أكثر أصحاب النبي ﷺ كانوا من الشباب ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[2]، يقول ابن كثير: «فذكر تعالى أنهم فتية: وهم الشباب، وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شباباً، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلاّ القليل»[3].

وهذا هو فعلاً ما أكّده التاريخ في أرض كربلاء حيث كان جلّ أصحاب الإمام الحسين سلام الله عليه من الشباب، فمن البديهي أن يكون أنصار الإمام المهدي عليه السلام من الشباب.

وفي هذا يقول يقول رسول الله ﷺ: «أوصيكم بالشباب خيراً فإنهم أرق أفئدة، وإن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فحالفني الشباب، وخالفني الشيوخ،، ثم قرأ: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾»[4].

---

(١) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، ج١٣، ص٢٠٦.

(٢) سورة الكهف، الآية ١٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٣، ص٧٨.

(٤) نقل من كتاب: مسؤولية الشباب، حسن موسى الصفار، ص٩٢.

حتمية الانتصار وشيكاً

عزيزي الشاب..

ألا تحب أن تكون من إخوان النبي محمد ﷺ الذين يشتاق إلى رؤيتهم، حيث ورد عنه ﷺ قوله: «إني لمشتاق إلى إخواني! فقال عمر: يا رسول الله! ألسنا إخوانك؟ قال: لا أنتم أصحابي، إخواني قوم آمنوا بي ولم يروني»[1].

أيها الشاب المؤمن..

أليست تنظر اليوم وبعد مضي أكثر من ١٣٥٠ سنة على معركة كربلاء واستشهاد أنصار الحسين عليه السلام بعين الإجلال والاحترام لهم، وتتمنى من أعماق قلبك لو كنت معهم؟!

أيها الشاب الطموح..

ألا تطمح أن تكون أنت شخصياً من أنصار المهدي عليه السلام لتشارك معه في نشر القسط والعدل والسلام والأمن

---

(١) كنز العمال، ابن حسام الدين الهندي، ج١٤، ص٤٨، ح٣٧٨٩٩.

في الأرض، وها قد ملئت ظلماً وجوراً وإرهاباً وخوفاً؟!

عزيزي أيها الشاب..

إن الله سبحانه وتعالى عرّض عباده للابتلاء والامتحان، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[1]، وأعطاهم فرصاً متساوية للنجاح أو الفشل، وأنت أيها الشاب المتفجر نشاطاً وحيوية، الممتلئ ذكاءً وعبقريةً، أمامك فرصة عظيمة لكي تصبح من أنصار الإمام المهدي عليه السلام، فإياك، إياك أن تضيعها فإن «إضاعة الفرصة غصة»[2].

أيها الشاب الفطن الذي ينظر بعين ثاقبة إلى الغد المشرق والمستقبل الواعد لهذه الأمة العظيمة المتميزة، بادر إلى اغتنام هذه الفرصة الخيرة قبل أن تضيع من يديك، وأسمع بكلام أمير المؤمنين وأبصر إذ يقول: «انتهزوا فرص الخير فإنها تمر مرَّ السحاب»[3].

أيها الشاب الحبيب لكي لا تضيّع على نفسك فرصة العمر، ولتكوّن من نفسك ناصراً للإمام المهدي عليه السلام، نأمل منك أن تتأمل في النقاط الآتية:

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ١ ـ ٣.

(٢) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب، فهرست صحي الصالح، ص٤٨٩.

(٣) التفسير المعين، محمد هويدي، ص٢٢٦.

١ـ أن تخلو بنفسك وتفكر في مستقبل أيامك، أن تستحضر نفسك أمامك وتقول لها: لقد بلغت من العمر (س) من السنوات، لقد مضى الكثير وبقي القليل. فماذا أنا فاعل فيما بقي من عمري؟!

وللخلوة بالنفس فائدة عظيمة في كونها تعمل على إفاقة الإنسان إن كان غافلاً، ولهذا حث العزيز الحكيم عليها حيث قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾[1].

٢ـ عدم اليأس والقنوط، فاليأس يدفع الإنسان إلى التواكل والخمول والانتحار، والإنسان الآيس من رحمة الله ـسلباً أو إيجاباًـ لا يأخذ بالأسباب لتنزل عليه الرحمات، فإن كان في ضيق طال أمده يقول: لا أمل في الفرج، وإذا تتابعت عليه هزائم يقنط من النصر.

والنتيجة الطبيعية لليأس والقنوط هي الهزيمة النفسية، وكما يقول الشيخ حسن الصفار: «والهزيمة النفسية أخطر من الهزيمة المادية، حيث لا تقوم بعدها للمهزوم قائمة، بينما قد يستجمع المغلوب قوته من جديد، ويتلافى نقاط ضعفه ويحقق الانتصار والتقدم»[2].

---

(١) سورة سبأ، الآية ٤٦.

(٢) الإمام المهدي وبشائر الأمل، حسن موسى الصفار، ص٤٢.

وهذا هو بالضبط ما يريد أعداء الأمة الإسلامية بثه في عقول وقلوب شبابنا، في عقولهم بالإيحاء إليهم أن الإسلام لا يمكن أن ينتصر، وفي قلوبهم بإغوائهم باللهو والفساد، وقد حذرنا الغفور الرحيم من اليأس والقنوط، وطمعنا في المغفرة والرحمة حتى ولو كنا مسرفين على أنفسنا حيث قال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1].

٣- عدم الاغترار بالدنيا، فكما أن هناك أناس مصابون باليأس والقنوط، هناك أناس يصابون بالغفلة والاغترار بالدنيا، فتراه منتفخاً مثل الطاووس وإذا اختبرته في الحديث وجدته خاوياً إلاّ من سفاسف الأمور ومواضيع الأكل والشرب واللهو واللعب، فالواجب أن نتبع أمر الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾[2]، لأن الدنيا هي أقصى طموحهم، والتي لا يتعداها علمهم إلى ما أبعد منها، وأن نسمع نصيحة أمير المؤمنين في عدم الاغترار بالدنيا حيث خاطبها بقوله: «يا دنيا يا دنيا إليك عني، غرّي غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيك، فعيشك

---

(١) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٢) سورة النجم، الآية ٢٩ - ٣٠.

قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير»[1].

٤ـ الثقة بالله ورسوله وأخذ النماذج الذين ورد ذكرها في هذا الكتيب، وعلى رأسهم رسول الله ﷺ الذي أخرج أمة قال العزيز الحكيم فيها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾[2]، أخرجها ﷺ من البداوة والتمزق والحقارة إلى التحضر والوحدة والسمو، أخرجها من قعر الذلة والمهانة ورفعها إلى قمة العزة والكرامة، إلى الدرجة التي جعلت العربي الذي كان لا قيمة له قبل الإسلام، ولا يكترث له أحد كما قال يزدجرد ملك فارس: «إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى، ولا أقل عدداً، ولا أسوء ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونا أمركم، ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس»[3]، يقوم لذلك الملك المتغطرس، وهو وسط إيوانه والجند والحراس ملتفون به ويخاطبه بكل ثقة ورباطة جأش: «إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يأمرنا بالخير، وينهانا عن الشر، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة»[4].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، عبدالواحد الامدي التميمي، ص٣٨٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١١٠.
(٣) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج٢، ص٣٠٥.
(٤) المصدر السابق.

وأخيراً -عزيزي الشاب المتميز- ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۞ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] إنك لست شاباً عادياً، إنك لست صبياً هملا، إنك فتىً متميز! إنك رجل فذ!

لقد آن الأوان أن يخشع قلبك، لقد حان الوقت أن تعود إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى رسوله ﷺ، وآله، وإلى دينك دين العزة والكرامة والإنسانية.

قم برحلة إلى الصحراء أواخر أيام الصيف، تأملها، فكّر فيها، تراها بحوراً من الرمال، جرداء، لا حياة فيها ولا رجاء.

اذهب إليها مرة أخرى أواسط أيام الربيع بعد أن تكون قد لامستها زخات المطر الناعم، وأضمن لك أنك ستصاب بالدهشة! إنك ستلاحظ أرضاً مختلفة، أرضاً تعجُّ بالحياة والنشاط، أرضاً تملؤها النباتات والزهور، أرضاً تفيض بالديدان ويزخر فضاؤها بالفراشات ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

---

(١) سورة الحديد، الآية ١٦ - ١٧.

(٢) سورة فصلت، الآية ٣٩.

أيها الشاب الذكي الفَرِس..

انظر حواليك وتفرّس في أوضاع الكون، ترى أنه ليس أحوال الأرض هي التي تتغير كما يقول القرآن الكريم، وكما يقول المصطفى ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»[1]، بل إن الأحوال الاجتماعية آخذة في التغير، وأحوال الكون بأسره آخذة في التغير.

إذن أيها الشاب العزيز..

الدنيا بأسرها آخذة في التبدل والتغير، في عام ١٣٣٤هـ - ١٩١٦م مزّق العالم الإسلامي إلى أكثر من خمسين دولة، ومزّق العالم العربي إلى أكثر من عشرين دولة في اتفاقية بين بريطانيا العظمى في ذلك الوقت، وفرنسا أم الثورة الفرنسية، وكلتاهما أمهات الحرية والسلام والديمقراطية، سميت اتفاقية سايكس - بيكو، وأصبح بموجبها العالم العربي عبيداً وخولاً للدول الاستعمارية في ذلك الوقت.

ومنذ ذلك الوقت جرت دماء أبناء العالم العربي الزكية، على ربى أراضيه الطاهرة، وقام الشرفاء من أبنائه ببذل جهود جبارة للإبقاء على صورته الإسلامية الناصعة، واليوم ونحن في سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م يعود الكلام عن

---

(١) كنز العمال، ابن حسام الدين الهندي، ج١٤، ص٢٣٩.

الحرية والسلام والديموقراطية، التي ركب موجتها الجميع، وإذا حصل ذلك فأبشروا بالشرق الأوسط الكبير الذي يتحدث عنه الجميع أيضاً، وإذا حدث ذلك فسوف يكون عكس اتفاقية سايكس - بيكو، أي أن العالم الإسلامي سوف يعود إلى التوحد شيئاً فشيئاً، وبذلك تعود دولة الخلافة الإسلامية، ويعود للمسلمين جميعاً إماماً واحداً موحداً يصدق عليه قول النبي ﷺ: «من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية»[1].

ذلك من جهة، ومن جهة أخرى تلاحظ تقارب طوائف المسلمين من بعضها البعض، وسيظلون يتقاربون أكثر فأكثر، وتطلّع كل طائفة على ثوابت وأدلة الطائفة الأخرى، وهكذا تتبين كل طائفة الحق الذي عند الطائفة الأخرى، وسيكون هناك تفهماً عاماً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، وإن أهل البيت قد ظلموا وأوذوا تماماً كما أخبر جدهم رسول الله ﷺ حيث قال: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً، حتى يأتي قوم قبل المشرق، معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها قسطاً كما ملئت جوراً، فمن أدرك ذلك

---

(١) معرفة الإمامة، ناصر مكارم الشيرازي، ص٨٦.

منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج»[1].

وكلما مرت الأيام سيكتشف المسلمون أنهم كانوا مقصرين في حق أهل البيت سلام الله عليهم رغم حثّ رسول الله ﷺ على التمسك بهم والسير على نهجهم، كما جاء في صحيح مسلم حديث رقم ٢٤٠٨: «أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[2]، وأنهم قد أهلكتهم الفرقة والانقسام والتمزق، وأنه لا نجاة لهم ولا بقاء لريحهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3]، إلاّ بالوحدة، ولا وحدة إلا تحت راية أهل البيت، فكل طوائف المسلمين لا يتفقون على شيء مثل اتفاقهم على محبة وولاية أهل البيت عليهم السلام.

وليس هناك من إمام يوحدهم أجذر من إمام من القوم الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم، ابن كثير، ج١، ص٢٥.

(٢) نقل عن: الإمام المهدي وبشائر الأمل، حسن موسى الصفار، ص٤٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٤٦.

الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، وقال فيهم رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»[2].

فذلك الإمام هو: أولاً مطهر من الرجس؛ أي إنه معصوم عن الخطأ والنسيان، ثانياً هو من أهل البيت أي من عترة النبي ﷺ وذريته، ثالثاً هو أمان للأمة الإسلامية من الفرقة والاختلاف والضلال وقد أشارت إلى هذا الصديقة الزهراء في خطبتها المشهورة قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة بقولها سلام الله عليها «وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة»[3].

وقد نص رسول الله ﷺ عليه بالاسم مع مَنْ تقدمه مِنْ بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام، فعن أنس بن مالك قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: نحن، ولد عبدالمطلب سادة أهل الجنة؛ أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي»[4].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج٣، ص١٦٢، ح٤٧١٥.

(٣) فاطمة الزهراء، بهجة قلب المصطفى، أحمد الرحماني الهمداني، ج١، ص٣٣٤.

(٤) سنن ابن ماجة، ابن ماجه، ص٩٣٣، حديث رقم ٤٠٨٧.

أيها الشاب الفذ الجريء..

إن الحق منتصر لا محالة، والباطل مندثر ليس هناك شك، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1]، و «ما أشبه الليلة بالبارحة»، وما أشبه أحزاب اليوم بأحزاب الأمس، الذين حكى الله عنهم وردّ عليهم بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرٌ ۞ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۞ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[2].

وقد أوردت مجلة (المجتمع) الكويتية دراسة على ثلاث حلقات جاء فيها: «لقد ظهرت في الغرب وبالذات في الولايات المتحدة الأمريكية دراسات استراتيجية عديدة في السنوات الأخيرة، وأثبتت جميع تلك الدراسات بأن كل المؤشرات تدل على أن الدولة الإسلامية النموذج قادم لا محالة، وأن كل المحاولات لمنع قيام هذه الدولة ستبوء عاجلاً أم آجلاً بالفشل، وأن هذه المحاولات لن تستطيع الصمود كثيراً أمام هذه التيار الجارف من رغبة الشعوب الإسلامية في قيام هذه الدولة الإسلامية النموذج، وإن أقصى ما تستطيعه هذه المحاولات هو فقط تأخير ظهور وقيام هذه الدولة»[3].

ورغم إننا لا نعوّل كثيراً على تلك الدراسات، إلا أن فيها كثيراً من الصدق والجدية، وما نراه من الدفاع المستميت عن بني

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٨١.

(٢) سورة القمر، الآية ٤٤ ـ ٤٦.

(٣) مجلة المجتمع، العدد ١٠٩٨، في ٢٢/ ١١/ ١٤١٤هـ ـ ١٣/ ٥/ ١٩٩٤م.

إسرائيل، والوقوف في صفهم في جميع المحافل الدولية، والحيف الواضح على كل الدول الإسلامية بلا استثناء، والوقوف بالمرصاد - ومن ذلك استعمال حق النقض (الفتيو) -ضد القضايا الإسلامية، واستعمال جميع الوسائل لإفساد الشباب المسلم، وشن الغارات الشاملة الإعلامية والاقتصادية والعسكرية- على دوله، ما هي إلا أدلة دامغة على حتمية قيام الدولة الإسلامية العالمية النموذج.

إن محمد بن عبدالله ﷺ قال: «لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله فيه رجلاً اسمه اسمي، يرد الله به الدين ويفتح له فتوحاً، فلا يبقى على وجه الأرض إلاّ من يقول: لا إله إلاّ الله، فقام سلمان فقال: يا رسول الله من أي ولدك هو؟ قال: هو من ولد ابني هذا، وضرب بيده على الحسين»[1]، لقد قال محمد ﷺ ذلك فلابد أن يحدث ذلك، لأن محمداً قال ذلك، ومحمد ﷺ لا يكذب أبداً.

أيها الشاب المؤمن الحبيب..

إن الإمام المهدي الحجة بن الحسن سلام الله عليه ينتظرك، مادّاً يده كي يصافحك، فاتحاً ذراعه كي يحتضنك، وكأني بل تُقبل عليه بشوق ولهفة وتُقَبِّل يديه وجبينه وأنت تردد مع السيد الحلي[2]:

---

(١) عقد الدرر في أخبار المنتظر، الشافعي السلمي، ص٩٥.
(٢) نقل عن كتاب (الرسول وأهل بيته أسماء لا تنسى)، عبدالحميد المهاجر، ج٢، ص٤١٠.

مات التصبر في انتظارك أيها المحيي الشريعه
كم ذي العقود ودينكم هدمت قواعده الرفيعه
تنعى الفروع أصوله واصوله تنعى فروعه
ماذا يهيجك إن صبرت لوقعة الطف الفضيعه
حيث الحسين على الثرى خيل العدى طحنت ضلوعه

فحتى ذلك اليوم -وهو قريب- عليك أن تكون:

- واعياً: لما يراد بك وما يدور حولك.
- ملتزماً: بماجاء به نبيك، متبعاً لما أمرك به.
- طموحاً: لنصرة ابنه المهدي والمشاركة في بناء دولة الحق والعدل والسلام.

فربما كنت من المقربين وإلا فأنت -إن شاء الله- من أصحاب اليمين ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ۝ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[1].

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

---

(١) سورة الواقعة، الآية ٨٨ - ٩١.

المصادر

١ـ أبو الشهداء الحسين بن علي، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٢ـ أخلاقيات أمير المؤمنين، العلامة هادي المدرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣ـ أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٤ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، دون طبعة أو تاريخ.

٥ـ إسرائيليات القرآن، محمد جواد مغنية، دار التيار الجديد، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٦ـ إظهار الحق (شرح إحقاق الحق)، تقديم: أهل مؤسسة البيت، توزيع دار الكتاب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، دون ط، ولا تاريخ.

٧ـ أقوى وآخر أمة في التاريخ، عبدالله علي، دار الصفوة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٨ـ الإمام المهدي وبشائر الأمل، حسن موسى الصفار، دار المحجة البيضاء ـ دار الواحة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
٩ـ الإمام والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، أبو محمد عبدالله بن قتيبة الدينوري (ت٢٣٦هـ)، تحقيق: الأستاذ علي شيري، دار الأضواء، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
١٠ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
١١ـ بحث حول المهدي، السيد محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
١٢ـ البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت ـ لبنان، ط١، دون تاريخ.
١٣ـ البرهان في تفسير القرآن، العلامة السيد هاشم البحريني، المؤسسة الفكرية للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.
١٤ـ تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٥ـ تحف العقول عن آل الرسول، أبو محمد الحسن بن

علي بن شعبة الحراني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط٥، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
١٦ـ تراجم سيدات بيت النبوة، الدكتورة: عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٧ـ التسيير الذاتي لأنصار الحسين، محمد علي عابدين، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
١٨ـ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، الحافظ ابن كثير، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١٩ـ التفسير المعين، محمد هويدي، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، دون طبعة أو تاريخ.
٢٠ـ تفسير الميزان، العلامة محمد حسين الطباطبائي، دار الإرشاد الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٢١ـ تفسير بحوث قرآنية، السيد عبدالأعلى الموسوي السبزواري، مؤسسة أهل البيت، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٢٢ـ تفسير من هدى القرآن، العلامة السيد محمد تقي المدرسي، دار البيان العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٣- تفصيل آيات القرآن الحكيم، جول لابوم، ترجمة: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
٢٤- جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٣، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢٥- حوارات حول المنقذ، العلامة الشيخ إبراهيم الأميني، ترجمة: كمال السيد، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر. قم - إيران، ط٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢٦- حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٧- خاتم النبيين محمد ﷺ، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٨- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الحافظ أبو عبدالرحمن بن شعيب النسائي، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣هـ.
٢٩- دخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، العلامة الحافظ محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة - السعودية، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
٣٠- دراسة في السيرة، الدكتور عماد الدين خليل،

مؤسسة الرسالة ـ دار النفائس، بيروت ـ لبنان، ط١١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٣١ـ دلائل الإمامة، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٣٢ـ ذلكم رسول الله ﷺ، حسن مرتضى القزويني الموسوي، مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٣٣ـ الرسول القائد، الزعيم الركن محمود شيت خطاب، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، بغداد ـ العراق، ط٢، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م.
٣٤ـ الرسول وأهل بيته أسماء لا تنسى، عبدالحميد المهاجر مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
٣٥ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة محمود الألوسي البغدادي، توفي ١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٣٦ـ زعماء الإسلام، دكتور حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ـ مصر، ط٣، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٣٧ـ سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ)، تخريج وعناية صدقي جميل

العطار، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.
٣٨ـ سيرة المصطفى من المهد إلى اللحد، هاشم معروف الحسني، المؤسسة الفكرية للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٣٩ـ السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: د. همام عبدالرحيم سعيد، محمد بن عبدالله أبو صعيليك، مكتبة المنار، الزرقاء ـ الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٤٠ـ شرح نهج البلاغة (الإمام علي)، شرح: ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٤١ـ الشهيد والثورة هادي المدرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٤٢ـ الشيعة والآخرون، عبدالله علي، دار الخليج العربي للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
٤٣ـ صحيح البخاري، دار الجيل، بيروت ـ لبنان.
٤٤ـ عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي، بشرح الإمام ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي.
٤٥ـ عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، دار الصفوة، بيروت ـ لبنان، ط٩، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
٤٦ـ عقد الدرر في أخبار المنتظر وهو المهدي عليه السلام، الشيخ

يوسف بن يحيى بن علي المقدسي الشافعي، تحقيق: الشيخ مهيب بن صالح بن عبدالرحمن البوريني، مكتبة المنار، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٤٧- علي عليه السلام من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، دار الثقلين، بيروت - لبنان، ط٣، بدون تاريخ.
٤٨- عوالم العلوم الإمام الحسين، محمد باقر بن المرتضى، المكتبة الإسلامية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٤٩- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبدالحسين أحمد الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط٥، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٥٠- غرر الحكم ودرر الكلم، عبدالواحد الآمدي التميمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٥١- فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى، أحمد الرحماني الهمداني، مؤسسة النعمان، بيروت - البنان، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٥٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
٥٣- فقه السيرة، محمد الغزالي، دار الدعوة، الإسكندرية - مصر، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٥٤- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة -

مصر، ط١١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٥٥- قادتنا كيف نعرفهم، الدكتور محمد علي عبدالجبار، مؤسسة أهل البيت، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٥٦- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيقك أبو الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ - - ١٩٨٧م.
٥٧- كتاب (بحث حول المهدي)، الشهيد محمد باقر الصدر. وهو عبارة عن مقدمة لموسوعة الإمام المهدي للشهيد محمد صادق الصدر، المكونة: ج١ (الغيبة الصغرى)، ج٢ (الغيبة الكبرى)، ج٣ (تاريخ ما بعد الظهور).
٥٨- كتاب الفتن، أبو عبدالله نعيم بن حماد المروزي (ت٢٢٩هـ/ ٨٤٤م)، دار الفكر، المكتبة التجارية، مصطفى الباز - مكة المكرمة.
٥٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، العلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي (ت٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط٥، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٦٠- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت - لبنان، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٦١ـ ما يريد الشباب: الطعم والبديل، عبدالمحسن علي أبو عبدالله، مطابع الرضا، الدمام ـ السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
٦٢ـ المائة الأوائل، الدكتور مايكل هارت، ترجمة: خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، ط٦، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٦٣ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٦٤ـ محمد ﷺ المثل الكامل، محمد أحمد جاد المولى بك، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ـ مصر، ط٦، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
٦٥ـ مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار النمير، دمشق ـ سوريا، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
٦٦ـ المراجعات، الإمام عبدالحسين شرف الدين الموسوي، طبعة بغداد، دار العراق، ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م.
٦٧ـ المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
٦٨ـ مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي، مطبعة دار المعارف النظامية، حيدر أباد ـ

الهند، ط١، ١٣٢١هـ - ١٩٠١م.
٦٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ترقيم محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٧٠-مصعب بن عمير الداعية المجاهد، محمد حسن بريغش، دار القلم، دمشق - سورية، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٧١- معرفة الإمامة، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، دار الصفوة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٧٢- مفتاح كنوز السنة، تأليف: د. أ. ي. فنسنك، ترجمة: أحمد فؤاد عبدالباقي، مراجعة: خليل الميس، دار القلم، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٧٣- مقاتل الطالبيين، أبو فرج الأصفهاني، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دار المعرفة، بيروت - لبنان، دون طبعة وتاريخ.
٧٤- ملاحم القرآن دراسة في أخبار الغيب، الشيخ إبراهيم الأنصاري، دار الصفوة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٧٥- الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، (ت٦٦٤هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط٦، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٧٦- منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام، لطف الله الصافي الكلبايكاني، مكتب اللزوردي، قم - إيران،

ط٧، طبع بالفارسية سنة ١٣٧٣هـ.
٧٧- المهدي المنتظر في نهج البلاغة، الشيخ مهدي فقيه إيماني، تحقيق: السيد باسم الهاشمي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٧٨- موسوعة الإمام المهدي، السيد محمد الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٧٩- نبي الإسلام بين الحقيقة والادعاء، الدكتور عبدالراضي محمد عبدالمحسن، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٨٠- نساء حول أهل البيت، الشيخ محمد فوزي، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، مكتبة الرضا، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٨١- النهاية في الفتن والملاحم، الإمام أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (م ٧٧٤)، تحقيق: الأستاذ أحمد عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٨٢- نهج البلاغة، فهرست الدكتور صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٨٣- ولأول مرة في تاريخ العالم، آية الله السيد محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة الرسول الأعظم للتحقيق والنشر - الكويت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

المحتويات

المقدمة ٧
فترات البعث وفترات الخمول ١٥
الصادق الأمين ٢١
ذرية بعضها من بعض ٣١
مولد أمة ٤٣
١ ـ معركة بدر الكبرى ٤٧
٢ ـ معركة أحد ٤٨
٣ ـ غزوة الأحزاب (الخندق) ٥٠
الخير في طاعة الرسول ٥٩
١ ـ طاعة الرسول ﷺ مدعاة للعزة والانتصار ... ٦٣
٢ ـ الاتحاد قوة ٦٣
اليهود آفة المسلمين ٦٩
الدنيا دار ابتلاء ٧٥
سنة التغيُّر والتطور ٨٧
١ ـ ثقل الطبيعة ٩٠
٢ ـ ثقل الإنسان ٩٢
حتمية الانتصار وشيكاً ٩٥
المصادر ١٠٩
المحتويات ١٢١